كبير

1195
١١٩٥

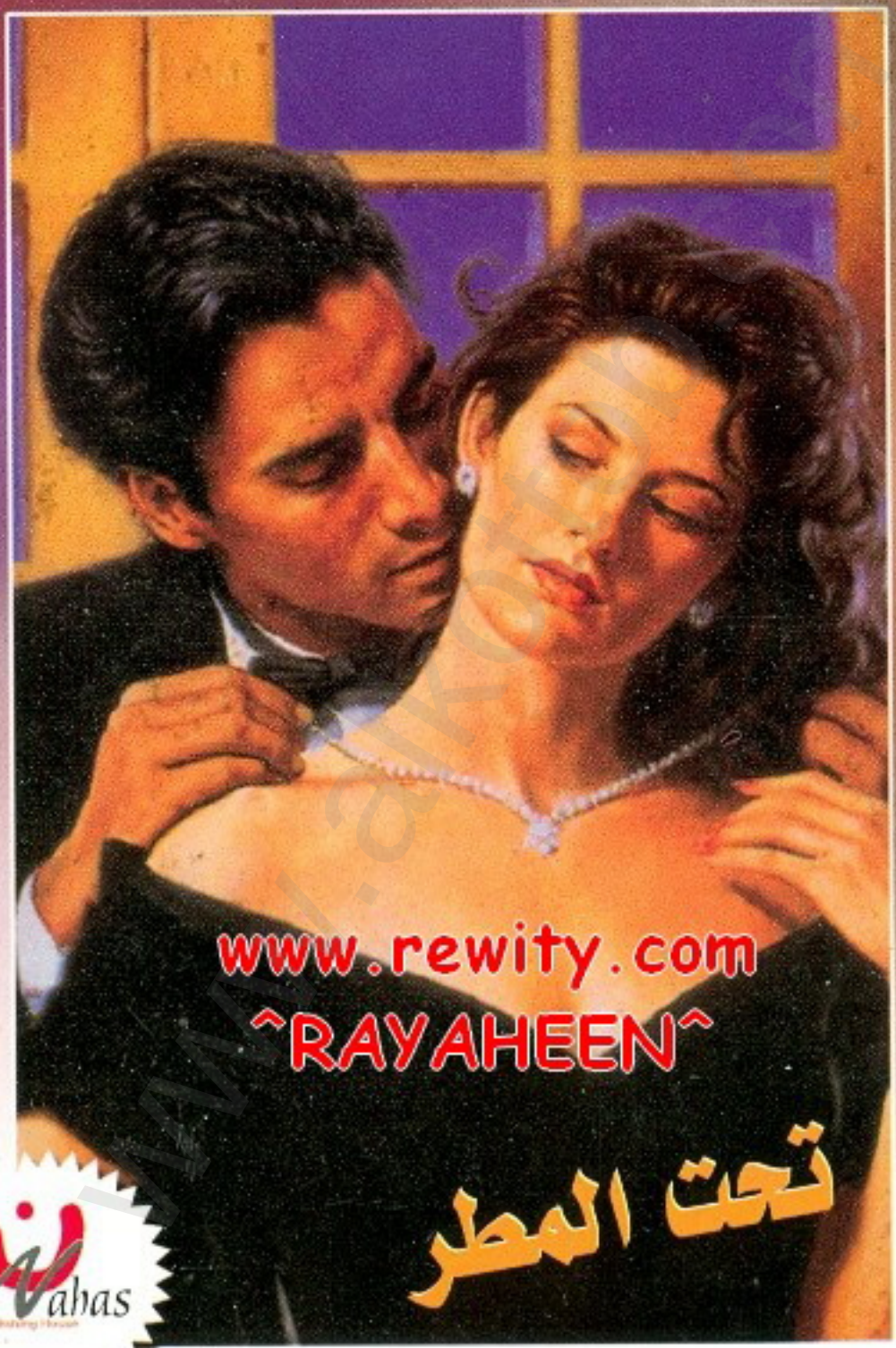

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

تحت المطر

Nahas Publishing House

صادر عن دار م. النحاس

www.alkottob.com

تحت المطر

«دعي قلبك يتحكم في عقلك الحذر ولو مرة واحدة فقط...»

هل بإمكان أوجيني قبول هذه النصيحة؟ لقد علمتها نشأتها الريفية ان تكون عملية... لا أن تنساق خلف أحلام شاعرية عن شاب وسيم. ولكن لقاءً بالصدفة ذات يوم ربيعي كثيف الضباب، غيّر كل ذلك. فقد كان الجراح المشهور ايديريك ريجنماتير ساليس رجلاً غير عادي... فابتسامة واحدة منه جعلت حياة أوجيني أكثر اشراقاً ومليئة بالاحتمالات المثيرة. ولكن هل من الممكن، مع وجود سافيرا الجميلة بجانبه، ان تكون مشاعر ايديريك نحو أوجيني اكثر من مجرد مشاعر زملاء في عمل واحد؟

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر ٧ جنيه

52-87000-34707-5

www.alkottob.com

تحت المطر

في الصباح التالي، بدت الأراضي قد حجبها ضباب كثيف ما جعل السير فيها مخاطرة بالنسبة فيها مخاطرة بالنسبة لأي غريب انما بالنسبة لأوجيني التي ولدت ونشأت في هذا المكان فقد كان مجرد ازعاج فقط. صحيح انها ليست من الحماقة بحيث تبتعد كثيراً عن القرية، ولكن ما كان يبدو لها مألوفا تماما. فكثيرا ما كان الضباب يفاجئها، وكان كل ما عليها ان تفعل هو ان تقف مكانها وتنتظر ان ترى لمحة مما يحيط بها إذ كانت تعرف كل حجَر وكل شجرة وأجمة حولها الى بعد أميال، كما انها لم تكن تشعر بالخوف من السكون العميق الذي يرافق الضباب عادة.

www.alkottob.com
www.rewity.com RAYAHEEN
www.alkottob.com

الفصل الأول

مدّت اوجيني سبنسر الباهرة الجمال بقوامها الرائع وعينيها الداكنتين وشعرها القاتم، يدها بضيق تسكت المنبه بجانب السرير، ثم نهضت من فراشها. وضعت قدميها في خفيها، وارتدت معطفها المنزلي، ثم توجهت الى حيث النافذة تلقي نظرة الى الخارج حيث كان الضباب في ذلك الصباح الباكر من شهر نيسان (ابريل) يحجب الأراضي والصخور الشاهقة، رغم أنه كان يتبدد شيئا فشيئا تحت اشعة الشمس الدافئة. اومأت برأسها راضية وهي ترى ان ليس ثمة مشكلة في توصيل أبيها بالسيارة الى إكزيتر. ان بإمكانها ان تسلك طريق مورتون هامبستيد عبر الأراضي تلك.

كان ذلك الطريق موحشا في أغلبه، ولكنها ولدت ونشأت في دارتمور ما جعلها تألف هذه البراري الفسيحة بضبابها المفاجيء وجوها الشتائي العنيف. كان والدها قد أمضى مدة طويلة يعمل كمدير مدرسة، وكان يزور القرى النائية رغبة منه في مساعدة أهلها، يساعده في ذلك اثنان من الاساتذة.

عندما تركت البيت لكي تتعلم مهنة التمريض ثم تصبح رئيسة قسم في مستشفى لندن للتعليم، كانت تعود الى البيت في كل فرصة تسنح لها، الى ان أصيب والدها فجأة بنوبة قلبية حادة وضعت حدا لعملها التمريضي، إذ أنه بعد عدة اسابيع من العلاج في المستشفى لم يعد باستطاعته العمل فترة طويلة. وهكذا أعيد الى البيت

www.alkottob.com

لكي يستعيد عافيته ببطء ما جعلها تستقيل من عملها وتعود الى البيت لتساعد أمها وتتحمل عبء أعمال المدرسة، وتمرض أباها وتساعد الاستاذ واطس الذي كان أرسل ليقوم بعمل أبيها في المدرسة وكان هذا شابا متحمسا رغم انه لم يكن لديه فكرة عن الحياة في القرى، وخصوصا الحياة في قرية دارتمور، حيث أنه كان قد نشأ في المدن الكبرى الداخلية.

ارتدت اوجيني تنورة من التويد وقميص فوقه كنزة وقد رفعت شعرها على قمة رأسها بشكل عشوائي ثم نزلت بعد ذلك الى المطبخ لتفتح الباب للكلب تايغر والهرة سمارتي ومن ثم وضعت ابريق الشاي على النار.

كانت المدرسة حيث يقيمون تبعد عن القرية مسافة قصيرة فهي في منتصف الطريق بين دارميت وتوبريدجس، وكانت عبارة عن منزل متين البناء يحتمل مواجهة الانواء الطبيعية ومؤثثا بشكل مريح وكان المطبخ قديم الطراز خاليا من الوسائل العصرية إنما كان يحتوي على خزانة مثقلة بالاطباق والصحون الصينية وذلك بشكل شبه عشوائي.

اخذت اوجيني تروح وتجيء كالعادة، فأيقظت والديها، ثم اعدت مائدة الإفطار. كان الوقت ما زال مبكرا ولكن كان أمامها مزيدا من الواجبات المنزلية عليها أن تقوم بها قبل ان يخرجا.

نزلت أمها اولا، وهي امرأة فارعة الطول كابنتها حيث ما زالت تتمتع بالجمال والشباب.

اخذت من ابنتها طبق البيض باسمة وهي تقول:«اذهبي انت فاطعمي الدجاجات. إن أباك متعب قليلا، لهذا عليك ان تقودي السيارة بحذر يا عزيزتي.»

فتحت اوجيني باب الحديقة قائلة:«نعم يا أماه، وسنعود في وقت تناول الشاي.»

بعد ان اطعمت الدجاجات، تلكأت في الحديقة فقد كان الكلب تايغر والهرة سمارتي متلهفين الى افطارهما، فهما لا يفتآن يدوران حولها وهي تقف ناظرة الى الانحاء. كانت القرية متوارية عن الانظار خلف تل شديد الانحدار وكان البيت الوحيد الظاهر للعيان هو بيت راعي غنم على بعد نصف ميل.

قالت تحدث الكلب تايغر:«لشد ما يختلف هذا المنظر عن لندن. ولا أدري ان كان بإمكاني العودة الى هناك يوما ما. ليس لأنني احب ذلك إنما اظن ان هذا هو ما سيكون في النهاية.»

لقد كانوا غاية في التفهم لها في المستشفى وسمحوا لها بترك المستشفى على ان تعود إليه في اقرب وقت ممكن لتؤدي عمل الشهر المتفق عليه قانونيا في العقد قبل انهاء عملها، حيث لم يمكنها ذلك بالنسبة الى مرض أبيها، لقد كان ذلك كله بناء على ما كان قد قاله الاطباء الذين كانوا عالجوا اباها في نفس اليوم.

كان الطريق الى إكزيتر غير ممهد. ذلك أنه لم يكن معتبرا من الطرق الرئيسية وكان يمر ببعض القرى القليلة. وكان عليها ان تبطىء السير في مورتون هامبستيد والتي كان يقوم فيها سوق نشيط وبعد ذلك كان انطلاقها الى إكزيتر والمستشفى، سهلا.

اخذت والدها الى قسم امراض القلب حيث سلمته الى الممرضة، وذهبت للجلوس في غرفة الانتظار. اخذت تقلب الصحف القديمة الملقاة على المنضدة هناك. وقد سرها

www.alkottob.com

مجلات الازياء التي طال ابتعادها عنها في الاسابيع الماضية وهي المولعة بالملابس الجميلة.

بعد انتهاء الفحص الطبي لأبيها، أصيب بالارهاق، اتجهت به الى مطعم هادىء حيث حاولت اقناعه بتناول وجبة خفيفة. لقد كان الطبيب المختص راضيا عن نتيجة الفحوصات ما جعله يطمئن الى أنه بعد اسابيع قليلة بإمكانه العودة الى مزاولة بعض الانشطة الخفيفة في المدرسة والتي يتوق الى القيام بها بعد أشهر من النقاهة.

اثناء تناولهما الطعام، قال بخصوص هذا الموضوع: «شهر آخر وسيكون بإمكانك بعده ان تعودي الى مستشفاك، يا عزيزتي. اتظنين ان بإمكانك ان تعودي الى نفس القسم الذي كنت تعملين فيه.»

أجابت وهي تتناول لقمة من الملفوف: «لا أظن ذلك، يا أبي، ولكنني سأكون مسرورة بالتغيير.»

ولكن هذا لم يكن صحيحا تماما ذلك انها كانت تحاشت اخبار أهلها عن ان المستشفى كان سمح لها بتحديد إجازتها وذلك منذ اكثر من شهرين... ولا بد ان مركزها الآن قد احتله سواها، وهذا يعني ان عليها ان تترك العمل بعد القيام بشهر العمل المتعارف عليه قانونيا وذلك في أي قسم يحتاجونها فيه ثم بعد ذلك عليها الرحيل، ولكنها ستخبر والديها بهذا الأمر عندما يحين الأوان لذلك.

عندما عادا الى البيت، شعرت بالسرور لكون الجو ما زال مقبولا رغم ان السحاب كان متراكما من جهة الغرب وهو يمتد ببطء ليغطي وجه السماء.

كانت امها بانتظارهما وقد جهزت مائدة الشاي بينما كانت النار تشتعل في مدفأة غرفة الجلوس وبعد ذلك توجهت اوجيني على الفور الى المطبخ، حيث اخذت تطهو.

بينما كانت تقطع الخضر وتقشر البطاطا، اخذت تفكر في مستقبلها، انها في الخامسة والعشرين من عمرها وغير مرتبطة عاطفيا. قدمت إليها عروض كثيرة للزواج بعضها جيد تماما، ولكنها مع انها لم تكن واثقة تماما من نوع الرجل الذي تحب ان تتزوجه فقد كانت واثقة من انها لم تقابله بعد. وإلى ان يحدث ذلك عليها ان تكسب راتبها وهذه المرة في مستشفى قريب من بيتها.

كانت قد تحدثت الى الطبيب الاختصاصي فأنذرها بأن من المحتمل ان يصاب والدها بنوبة قلبية ثانية وفي هذه الحالة كان على الاستاذ واطس ان يعود. وتمنت لو ان ذلك لا يحدث. صحيح انه رجل كبير بما فيه الكفاية على ما يبدو، ولكنه بالنسبة الى ادارته للمدرسة كانت آراؤه خاطئة تماما. وبجانب ذلك فقد ظهر عليه جليا اعجابه بها ثم أنه من وجهة نظره الخاصة على الأقل أي شيء افضل من ان يتزوج من إبنة رئيسه ومن ثم يستلم الإدارة؟

قالت تحدث الحيوانين بينما كانا ينتظران عشاءهما بصبر: «ولكنني لن أقبل شيئا كهذا.»

عندما استيقظت في صبيحة اليوم التالي، كان الجو ممطرا. والرياح قد هبت اثناء الليل مرسلة غيوما منخفضة تتسابق في السماء. استمعت الى صوت المذيع في الراديو يخبر ان ثمة جوا سيئا في طريقه

www.alkottob.com

إليهم من المحيط الأطلسي. فخرجت تطوف في أنحاء الحديقة تطعم الدجاج وتحكم اقفال أبواب الحظيرة وعندما عادت اخبرتها امها بأن الاستاذ واطس قد اتصل هاتفيا ليقول انه اصيب ببرد شديد ويسأل عما إذا كان بإمكان اوجيني ان تقوم ببعض زياراته الروتينية بدلا منه، وكانت هناك عدة أماكن وهكذا قررت ان تستقل سيارتها باتجاه رجل عجوز يعيش وحيدا في كوخ صغير منعزل حتى عن اقرب جيرانه.

كان الطريق إليه وعرا ما جعلها تصمم على الذهاب إليه اولا بالسيارة اللاند روفر وحيث ان الاستاذ واطس لم يكن على معرفة واضحة بظروف الرجل العجوز، فقد اخذت له مؤونة من الحليب والخبز ومختلف انواع معلبات الطعام التي قد يحتاجها. كما اخذت له الصحيفة الاسبوعية إذ أنها سبق ولاحظت انه يحب المطالعة.

كان السيد بامبر العجوز في حالة حسنة تماما وقد سره مرآها. اخبرها بأن صحته ممتازة ويتطلع الى الوقت الذي يصبح فيه الجو اكثر دفئا فيتمكن من الخروج.

سلمته اوجيني ما احضرته إليه، حتى الصحيفة ثم دخلت المطبخ حيث غسلت الاطباق القذرة التي كانت في حوض الغسيل، وصنعت قهوة لهما هما الاثنين، ثم جلست إليه تتبادل معه الحديث. كان يعرف كل شخص في القرية، وهكذا أخبرته بكل ما يدور فيها، ثم ذهبت في سبيلها.

كانت المزارع خارج طريق الأراضي السبخة ولكن الوصول إليها كان اكثر سهولة. تناولت المزيد من القهوة

وسألت عن الأولاد واستمعت بصبر الى مشاكل تافهة، وأعجبت بجراء وهررة حديثة الولادة. امعنت النظر في ما أروها إياه من حياكة، وأخذت بطريقها مجموعة من الرسائل لإرسالها بالبريد. وعندما عادت الى البيت كان قد حان موعد الغداء والمطر ما زال ينهمر رغم ان الرياح قد هدأت.

لم يتحسن الجو في اليوم التالي، وكان موعد اجتماع اتحاد الامهات بعد الظهر. حيث ان السيد واطس ما زال متوعك الصحة فقد ذهبت الى قاعة القرية وهي مركز النشاطات الجماعية، حيث صنعت الشاي ودارت بالكيك على المجتمعات وهي تتحدث بما يناسب المقام وتبدي اعجابها بالأطفال وصغار الاولاد وتستمع الى المشاكل الصغيرة. فكرت في نفسها متأملة بأن في امكانها ان ان تكون زوجة مناسبة تماما لأستاذ يهتم بفعل الخير.

في الصباح التالي، بدت الأراضي قد حجبها ضباب كثيف ما جعل السير فيها مخاطرة بالنسبة لأي غريب انما بالنسبة لأوجيني التي ولدت ونشأت في هذا المكان فقد كان مجرد ازعاج فقط. صحيح انها ليست من الحماقة بحيث تبتعد كثيراعن القرية، ولكن ما كان يبدو بالنسبة لمسافر عابر مجرد دثار سميك كثيب كان يبدو لها مألوفا تماما. فكثيرا ما كان الضباب يفاجئها وهي في الأراضي السبخة، وكان كل ما عليها ان تفعل كما قالت مرة لأمها القلقة، هو ان تقف مكانها وتنتظر ان ترى لمحة مما يحيط بها إذ كانت تعرف كل حجر وكل شجرة وأجمة حولها الى بعد أميال، كما انها لم تكن

www.rewity.com RAY AHEEN www.alkottob.com

تحس بالخوف من السكون العميق الذي يرافق الضباب عادة.

توقف رذاذ المطر عند العصر، ولكن كثافة الضباب لم تتغير. وكان موعد الشاي على وشك ان يحل عندما اتصل الاستاذ واطس هاتفيا الذي يسكن في منزل صغير في الناحية الاخرى من القرية. لم يكن بعيدا ولكن الوصول إليه كان صعبا إذ كان يقع في ناحية من تلك الأرض شديدة الانحدار.

استمعت أوجيني الى صوته القلق، شاعرة بالأسى لأجله. فقد كانت حالته اكثر سوءا، وكان يشكو متذمرا من ان لا أقراص مهدئة لديه حتى ولا ليمون. كما ان الاسبرين عنده قد نفد.

قاطعت شكواه التعسة هذه بقولها:«سأحضر إليك كل ما تحتاجه.»

«لن يكون بإمكانك الوصول إلي في هذا الضباب.»

أجابت:«لا تقل هذا سأكون عندك بعد حوالي عشرين دقيقة.»

جمعت بعض الأسبرين وعدة ليمونات وأقراص لالتهاب الحلق كانت أمها تحتفظ بها في صيدلية البيت، ثم خرجت في ذلك الوقت من النهار والذي كان شبه مظلم، وكلمات أمها تستحثها للعودة بأسرع ما يمكنها، ثم تقول:«إنني اعلم بأن في امكانك العثور على طريقك. انتبهي الى نفسك.»

وجدت اوجيني طريقها الى القرية بسهولة، حيث كانت أنوار نوافذ المنازل تريها الطريق بشكل غائم ولكنها عندما اجتازتها ابتدأت تصعد الطريق متخذة جانب

الطريق بحذر راجية ان يكون الاستاذ واطس قد فكر في ان يضيء جميع انوار منزله. وسرها ان وجدت انه قام بذلك فعلا عندما ابتدأت تصعد الطريق الضيق المتفرع من الطريق العام.

لم تكن تميل الى الاستاذ واطس ذاك ولكنها شعرت بالأسى لأجله وهي تراه مريضا تعسا واضح الكراهية لذلك البيت الذي يقيم فيه وتلك الأرض السبخة وكل ما يجعل الحياة بهذه الصعوبة.

قال لها:«لا أدري كيف بإمكانكم العيش هنا. لو كنت اعلم، عندما أرسلت الى هنا ان لا شيء هنا سوى الرياح والمطر والضباب...»

كانت أوجيني قد وضعت ابريق الشاي على النار، وأخذت تعصر الليمون في ابريق. فأجابته قائلة:«آه، لا تقل هذا. انك تعرف مبلغ جمال هذه المنطقة عندما يكون النهار جميلا... الهدوء والسلام والمناظر الرائعة، هذا الى انعدام حركة السير تقريبا.»

صنعت له الشاي وقدمت له الاسبرين الذي أحضرته وكذلك أقراص الدواء، ثم قالت له:«انك تشعر بالإنهاك ولكنك ستتحسن في الصباح. والآن اجلس وتناول الشاي ثم خذ حبتي اسبرين واذهب الى فراشك.»

كانت فتاة عملية بقدر ما كانت جميلة. فقد اعدت المائدة، وملأت قربة الماء الساخن حيث وضعتها في فراشه، ثم عادت الى خزانة الاطعمة تتفحصها لتقول بعد ذلك:«يوجد هنا الكثير من الطعام، وحالما يصفو الجو، ستأتي السيدة بولارد لكي تراك. سأتصل بك في الصباح لأطمئن على صحتك.»

www.alkottob.com

«ليس ثمة حاجة بك للذهاب. ألا يمكنك الجلوس قليلاً؟»
اجابت:«يا سيدي العزيز، هل القيت نظرة على الخارج؟ ما أسرع ما سيحل الظلام ويصعب السير في الانحاء.»
«ولكنك عشت هنا طوال حياتك، ولا بد انك تعرفين طريقك جيداً.»
«وهذا هو السبب في انني ذاهبة الآن. لا تنس ان تأخذ الأسبرين.»
اثناء عودتها الصعبة الى منزلها، تذكرت انه لم يقدم إليها كلمة شكر.
كانت تتمتم قائلة، يا للرجال، عندما توقفت فجأة بعد إذ وصلت الى الطريق لتصطدم بسيارة كبيرة جداً.
كان بابها مفتوحاً بينما صوت ساخر لرجل يقول:«هو ذا طفل بريء، أمامي. هل أصابك ضرر؟» وكانت ذراع بالغة الضخامة قد أمسكت بها في هذا الضباب الكثيف، وبعد ذلك بلحظة كان صاحبها يقف بجانبها.
كان قد أبعد ذراعه تلك عنها ولكنها شعرت به يشرف بقامته عليها رغم انها لم تستطع رؤيته ابداً بوضوح.
قالت تجيبه:«كلا، لم يصبني أي ضرر. هل انت تائه عن الطريق؟»
«نعم. وكنت أعد نفسي لقضاء ليلة طويلة في السيارة، أما الآن فأنا أمل في الخلاص. إلا إذا كنت انت تائهة مثلي.»
«كلا، كلا، فأنا اعيش هنا. حسناً، ليس بعيداً من مكاننا هذا، فبيوت القرية متقاربة. الى أين تريد الذهاب؟»
«إلى بابيني...»

«تعني إلى مكان الاستاذ توم رايلي. ليس بإمكانك ابداً الوصول الى هناك ما لم يتبدد هذا الضباب. من الأفضل ان تأتي معي. ان أمي ستستضيفك هذه الليلة وبإمكانك ان تتصل به من منزلنا.»
سألها:«منزلكم؟ ولكن ربما يوجد فندق او مكان عام في هذه الناحية؟»
اجابت:«يوجد مكان عام إنما لا يحتوي على سرير للنوم وأقرب نزل من هنا يقع على بعد أميال في هيكسوارتي، وقد اجتزته انت في طريقك ربما دون ان تراه.» وأضافت بحنان أمومي:«ربما ما كان لك ان تطوف انحاء دارتمور في مثل هذا الجو إلا إذا كنت تعرف الطريق حقا.»
«كلا، كلا، كانت هذه حماقة بالغة مني. هل بإمكانك صعود السيارة من هذه الناحية؟»
تلمست طريقها الى المقعد من ناحية مقعد القيادة بهدوء وعندما استقرت جالسة، سألته:«هل السيارة هذه رولز أم بنتلي؟»
اجاب:«إنها بنتلي.» واتخذ مقعده بجانبها فاستدارت تنظر إليه تحت ضوء مصباح السيارة. بدا رجلاً كبير الجسم لغاية، وشعره الأشقر يقرب من ان يكون فضياً... والرؤية صعبة، ولكنها مع هذا امكنها ان ترى انه كان حسن الشكل.
لم يقل شيئاً وإنما ابتسم قليلاً وهو يقول:«انني اعتمد عليك يا آنسة...»
«اوجيني سبنسر. وأبي هو مدير المدرسة هنا.» فمد إليها يداً عريضة يصافحها وهو يقول:«اسمي ايديرك ريجناتير ساليس.»

www.alkottob.com

فصافحته قائلة:«إنك لست انكليزياً... هل انت سويدي؟ نرويجي؟ هولندي؟»

«هولندي.»

بدا في لهجته الهزل مرة اخرى، فقالت بسرعة:«إن الطريق ينحدر من التل مئات الياردات او نحو ذلك، ثم تستقيم بعد ذلك الى ان تصل الى القرية. انظر الى يمينك فهناك سد عليك ان تبقى قريبا منه قدر امكانك...»

ابتدأ رحلتهما الحذرة. سألها:«هل كنت عائدة الى المكان الذي كنت جئت منه؟»

«لقد عشت هنا طوال حياتي. وقد اتصل بنا الاستاذ الذي استلم إدارة المدرسة الى حين شفاء أبي، يطلب ليمونا وبعض الاشياء الأخرى. انه يعاني من زكام سيء.»

«ليمون... هل خرجت في مثل هذا الجو، لكي تحضري له ليمونا؟»

«وأسبرين ايضاً. انه من بيرمنغهام ولم يعتد على نوع الحياة هنا.»

«هذا يمكنني فهمه.»

«الطريق الآن يتحول الى اليمين. هل لك ان تفتح النافذة من فضلك؟»

عندما فعل ذلك اخرجت رأسها من النافذة لحظة، ثم قالت:«يوجد جذع شجرة في الزاوية. بالضبط ها هي ذي. استدر قليلا الى اليمين، استقم في سيرك. الآن ها هي ذي القرية.»

كانت الاضواء تلمع خافتة في نوافذ الأكواخ بينما كان

ضوء مكتب البريد يرحب بهما، ولكنهما سرعان ما عادا الى الظلام، فقالت تشجعه:«لم نعد بعيدين الآن. لا بد لي من القول ان قيادتك ممتازة.»

شكرها بهدوء.

فتحت والدتها الباب قبل ان تقف السيارة أمام المنزل وسألت:«أهو انت يا أوجني؟ كيف وجدت السيارة؟»

خرجت اوجيني من السيارة، وأدهشها ان تجد مرافقها قد سبقها في الترجل ووقف ينتظرها ثم يغلق الباب في أثرها. اعجبها سلوكه هذا، وأمسكت بكمه قائلة:«فلندخل وستكون السيارة هنا في أمان.» ورفعت صوتها تخاطب أمها بقولها:«ان معي شخصا اضاع طريقه.»

حدقت أمها باتجاههما قائلة:«أدخلا. يا لك من رجل مسكين. لا بد انك متعب وجائع.» ومدت يدها ترحب به عندما وصل الإثنان الى الباب، وهي تقول باسمة:«إنني والدة اوجيني. اننا نرحب بك في المكوث هنا الى ان ينجلي الضباب، إذ ان الجو ينبيء بعاصفة من الغرب فثمة أمل في ان ينجلي عند الصباح.»

وقفا في الردهة، حيث خلعت اوجيني معطفها الواقي من المطر بينما كانت الوالدة تتابع قائلة:«اننا بانتظاركما لتناول الشاي، فتفضل وتعرف على زوجي.»

قال ايدريك:«انك بالغة اللطف. هل بإمكاني احضار حقيبتي من السيارة أو لا؟»

اجابت الوالدة:«طبعا. احضر أي شيء قد تحتاجه اثناء الليل. ان لدينا العديد من الغرف في المنزل ويمكنك ان تستعير أي شيء.»

كان قد ابتعد، عندما اغتنمت الوالدة الفرصة لتقول

www.rewity.com RAYAHEEN www.alkottob.com

لابنتها:«يا له من رجل هائل الحجم. اين وجدته يا عزيزتي؟»
اجابت اوجيني:«تحت منزل السيد واطس مباشرة. في أي غرفة علي أن استضيفه يا أمي؟»
«في الغرفة التي في الزاوية الى الخلف. انه ليس انكليزياً أليس كذلك؟»
«انه هولندي وهو ذاهب الى بابيني.»
وفي هذه الاثناء عاد الهولندي.
قالت السيدة سبنسر:«ستحتاج الى الاتصال هاتفياً وهو في مكتب زوجي.» وفتحت الباب متابعة:«تفضل الى غرفة الجلوس عندما تفرغ من ذلك.»
وهذا ما اعطاها بعض الوقت لتخبر زوجها عنه قبل ان يعود لكي تقدمه الى زوجها، ولاحظت اوجيني ان الرجلين قد سادهما الانسجام معا. وعندما صدرت عن أبيها ملاحظة يقول فيها انهم ما زالوا يعيشون في العصر البرونزي وذلك في إشارة منه الى الأراضي السبخة في المنطقة، تلقى جوابا من ضيفهم تضمن، ليس معرفته بكل ذلك فقط، بل اهتماما حقيقيا به.
تناولوا الشاي حول المدفأة بتمهل، بينما كان السيد سبنسر يشرح نظريته عن الأكواخ الحجرية وذلك التاريخ الطويل للأراضي السبخة.
سرها ان ترى أباها يبدي مثل ذلك الاهتمام وكانت أوجيني تفكر بذلك وهي تعد العشاء في المطبخ. وأثناء تناول الطعام، تحوّل الحديث ليتناول كل موضوع تحت الشمس. ولم تدرك إلا وهي تتأهب للنوم ان ضيفهم لم يكد يخبرهم شيئاً عن نفسه. إنه قادم من هولندا

وهو طبيب. هذا كل ما قاله لهم، فهم لا يعلمون عنه اكثر من ذلك. هل هو يعيش حالياً في انكلترا؟ هل هو يمضي إجازة؟ لماذا كان ذاهباً الى بابيني أم تراه يعمل في مستشفيات لندن؟ وقبل ان تستسلم للنوم، تساءلت أتراه متزوجا؟
اقبل الصباح وقد تبدد الضباب الى حد يسمح بقيادة السيارة بحذر كاف. وبعد ان تناول ضيفهم طعام الافطار بشهية تامة كرر شكره لهم ونيته في الرحيل بأسرع ما يمكن.
قالت اوجيني بلهجة واقعية:«حسناً، إياك ان تسلك طرقاً غير رئيسية. هنالك اماكن كثيرة تكون الأرض فيها رخوة خطرة.»
طمأنها بأنه سيكون على حذر.
لم ينزل والدها لتناول الإفطار، لكن ضيفهم صعد إليه ليودعه، ثم حمل حقيبته وخرج الى سيارته حيث وضعها في الصندوق وعاد الى حيث كانت اوجيني ووالدتها واقفتين عند مدخل الباب.
قال للسيدة سبنسر:«إنني مديون لك ولن أتمكن ابداً من ايفائك حقك من الشكر للطفك الجميل.» وصافحها مودعاً، ثم اتجه الى اوجيني قائلاً:«الوداع. لقد كنت المنقذ لي في الوقت المناسب. وأنا مديون لك الى اقصى حد.»
مدت إليه يدها تصافحه وهي تقول:«انني مسرورة لتمكني من مساعدتك. وانتبه الى نفسك.» كانت تريد ان تعلم الى اين سيذهب بعد بابيني، لكنه لم يقدم أي معلومات عن ذلك، حتى ولا إشارة او تلميح... وهكذا

www.alkottob.com

سارت معه الى سيارته حيث لوحت له مودعة وهو يبتعد. فكرت متأملة وهي تنظر الى سيارته تتوارى خلف المنعطف المؤدي الى الطريق العام، في مبلغ غرابة ان يقابل المرء شخصا ما، ويقع في الحب بينما هو يدرك أنه لن يرى ذلك الشخص بعد ذلك ابدا في حياته. لم تكن تعلم ان الوقوع في الحب يكون بهذا الشكل.

عادت الى والدتها تمسك بذراعها قائلة:«كم اتمنى لو اتزوجه...» ثم اضافت:«لا تضحكي مني.»

استدارت والدتها تنظر إليها ثم تجيبها:«كلا، يا عزيزتي. انما تذكري ما سأقوله لك إذا كان مكتوبا لكما اللقاء مرة اخرى والوقوع في الحب ثم الزواج، فلا شيء يمكن ان يمنع هذا من الحصول.»

قبلت اوجيني والدتها وقالت:«انني لا استغرب زواج أبي منك. إنني اعني هذا يا أمي.»

«أعلم انك تعنينه يا حبيبتي. والآن ادخلي لنبدأ اعمالنا المنزلية.»

بينما كانتا تقومان بالغسيل معاً، قالت اوجيني فجأة:«انني لا اعرف شيئاً يذكر عنه، ومع ذلك اشعر وكأنني كنت اعرفه طوال حياتي.»

من عصر ذلك النهار خرجت في نزهة طويلة سيراً على الاقدام مانحة بذلك الفرصة للتعقل بأن يحل مكان احلام اليقظة التي ليس فيها أثر في الواقع. كان الشيء الوحيد الحقيقي هو انها وقعت في غرام رجل من غير المحتمل ان تراه مرة اخرى. وقالت تحدث نفسها وهي تتجه عائدة الى البيت، آه، لا بأس من الافضل ان احب وأفقد حبي من ألا احب مطلقا.»

شعرت بإغراء بالغ في ان تستفسر عنه من توم رايلي، ولكن لم يكن لديها سبب للاتصال بذلك السيد إذ أن ما بينه وبين أبيها لا يعدو معرفة سطحية، هذا الى ان السؤال عن الدكتور ريجنماتير ساليس من وراء ظهره بدا لها نوعا من التجسس.

عندما وصلت الى البيت وجدت خبراً مفاده، ان كان بإمكانها ان تذهب لرؤية الاستاذ واطس بالنسبة الى اتحاد الأمهات، وعما إذا كان بإمكانها ان تحضر له معها شيئا من الأسبرين.

قالت أمها تعلق على ذلك:«يظهر انه مريض، بإمكانك ان تأخذي له معك شيئا من الحساء الذي صنعته، فهو زائد عندنا.» ونظرت الى الشرود في ملامح ابنتها، ثم اضافت:«تناولي الشاي اولا، يا عزيزتي.»

فتح الاستاذ واطس الباب لها. كان يبدو تعساً وهو يقول متذمرا:«لم تأت السيدة بولارد إلي. لقد تركت لي الحليب والصحيفة فقط وهي تصيح من خلال فجوة صندوق البريد بأنها لن تأتي إلي إلا بعد ان أشفى لأنها تخاف العدوى.»

قالت اوجيني مخففة عنه:«لا يمكنك ان تلومها. إن لديها خمسة اطفال.» وتركته متجهة الى المطبخ لتضع إناء الحساء وهي تتابع كلامها:«بإمكانك ان تعتني بنفسك ليوم او اثنين، أليس كذلك؟ اتريد استدعاء طبيب؟ ان الدكتور شاو في هولن هو كفء جدا. ربما انت بحاجة الى مضاد حيوي.»

قال:«كلا، كلا، لا حاجة بي لذلك. إنما، بالطبع لو كان لي زوجة لتعتني بي...» وألقى عليها نظرة خاصة تجاهلتها

www.alkottob.com

وهي تقول:«لقد ارسلت إليك أمي شيئاً من الحساء. والآن هل لك ان تخبرني بما تريدني ان افعله بالنسبة الى اجتماع اتحاد الامهات وعن مجموعة الكشاف مساء الخميس. هل ستكون مستعداً صحيا لإقامة هذا العرض؟»

«سأحاول جهدي. كيف حال السيد سبنسر؟»

«إن الاطباء مسرورون من حالته. إن بإمكانه بعد شهر ان يستلم بعض اعمال المدرسة على الأقل.»

قال:«هذا عظيم. إذن فلن تكون ثمة حاجة لخدماتي.»

سكت لحظة ثم عاد يقول:«إلا إذا سمحت طبعا للأمل... هل تتزوجينني يا أوجيني؟ ان بإمكاننا ان نبقى هنا، في منزل افضل طبعا وبإمكاني استلام العمل من أبيك. لا بد لي من القول إنني كنت افضل الإقامة في إحدى المدن ولكن بإمكاني ان أرى تحسينات عديدة يمكن ان تقام، أظن الحياة هنا لا تتمشى وروح العصر كما هو الحال في بيئة عصرية.»

كانت فتاة رقيقة الإحساس كما أنها ذات طبع عنيف إذا هي أثيرت. ولكنها الآن سمحت لرقة احساسها بأن يخمد طبعها ذاك، فقالت بلطف:«اشكرك لعرضك الزواج علي، ولكنني واثقة من أن ليس بإمكاني اسعادك، وأظن انك ستكون اكثر سعادة عندما تعود الى مدرسة في مدينة ما حيث يقدرونك حق قدرك. فكما ترى، الحياة هنا مختلفة قليلا... وأكثر بدائية... إننا نعيش قريبين من الطبيعة، والطبيعة لا تتغير... أليس كذلك؟»

مدت له يدها تصافحه مودعة:«لقد كنت عوناً كبيراً اثناء الأسابيع الماضية. ونحن شاكرون لك ذلك جدا. حسنا،

عليّ ان أذهب، فهناك إعداد العشاء الى غير ذلك من الأعمال حول المنزل.»

رافقها الى الباب وهو يسألها:«هل انت سعيدة هنا؟»

«نعم، فهذا موطني...»

«ألم تصادفك صعوبة اثناء عودتك أمس؟ لقد كان الضباب فظيعاً. ظننت انني سمعت صوت سيارة بعد خروجك مباشرة.»

قالت:«ان الصوت ينتقل في الضباب. أخبرنا فيما لو احتجت شيئاً.»

عندما وصلت الى البيت، سألتها أمها:«لقد تأخرت كثيراً يا عزيزتي، ما الذي اعاقك؟»

أجابت:«لقد عرض الاستاذ واطس الزواج عليّ فرفضت. وقد أخبرني بوجهة نظره عن وجوب مسايرتنا لروح العصر.»

«ارجو انك تصرفت إزاء ذلك بشكل مهذب، يا عزيزتي، آه، انا واثقة من ذلك. ولكنك حادة الطبع عندما تؤخذين بغتة. يا للرجل المسكين.»

«انه سيعود الى مدينته الكبيرة ويتزوج من امرأة تضع له قدميه في مغطس ماء حار، وتوافق على كل ما يقوله.»

رأت نظرة أمها إليها فقالت:«انني لا اريد ان إكون فظة، يا أماه، فأنا واثقة من انه رجل طيب جداً. ولكنني، بشكل ما، لا استطيع التفكير فيه جدياً. كما أنني لا أظنه اهتم برفضي له كثيراً، وأظنه فكر في هذا الزواج سيمنحه فرصة للإستلا من أبي فيما بعد. هذا رغم انه لا يميل الى الحياة القروية.»

«حسناً، ان صحة ابيك في تقدم مستمرّ بحيث ان

www.alkottob.com

بإمكانه العودة الى تنقلاته المعتادة بعد وقت قصير. ولا أدري إذا كان ذلك الرجل قد وصل سالما الى مكان توم رايلي.»

يبدو ان هذا حصل فعلاً، إذ ان ساعي البريد حمل إليهم، في الصباح التالي، صندوقا معنونا بإسم السيدة سبنسر. وكان يحتوي على ورود. ليس عدة وردات فقط، وإنما على دزينتين منها وبصحبتها بطاقة موقعة بالأحرف (إ. ر. تير. س) وكانت الكتابة على البطاقة بخط مستعجل بحيث تساءلت السيدة سبنسر عما إذا كان كتبها خطأ باللغة الهولندية. ثم عرضتها على اوجيني حيث أنها معتادة على قراءة خطوط الاطباء.

قالت اوجيني:«كلا، انها باللغة الانكليزية يا أمي، وهي تقول :(مع شكري الجم لضيافتك الحسنة).

قالت السيدة سبنسر:«لشدة ما انت ماهرة، يا عزيزتي، ولشدّ ما هي جميلة هذه الورود، كما انها بهذه الكثرة...»

كتبت اوجيني الى المستشفى بشأن عودتها المؤقتة الى العمل، فكان الردّ انهم يأسفون لكون مكانها قد شغل وأن عليها ان تمضي شهرها ذاك في غرفة العمليات حيث ان الممرضة الثانية ستقوم بإجازة. وسيعطونها شهادة ممتازة عند انتهاء العمل، ولا شك أنها ستجد عملا بنفس المركز في أي مكان تشاء.

وضعت الرسالة في جيبها دون ان تخبر والديها بمحتوياتها ما عدا أنها ستعود الى المستشفى لتعمل في غرفة العمليات بدلا من مكانها الأول.

قالت أمها:«هذا سيكون تغييرا حلوا، يا عزيزتي ما دام

لا يشبه بحال قسم الطوارىء الذي نراه على شاشة التلفاز.»

تركت اوجيني منزلها اثناء الاسبوع الأول من شهر أيار (مايو)، وذلك ذات صباح خلت فيه السماء من الغيوم، كما بدت الأراضي السبخة في اوج جمالها وهي تستقل سيارتها كارهة. اتخذت الطريق الذي يمر في هولن حيث كانت تريد ان تتوقف هناك لتودع صديقة لها تعمل في مقهى صغير اثناء شهور الصيف.

وهكذا امضتا معا نصف ساعة ممتعة تناولتا اثناءها القهوة، لتقف بعدها اوجيني متلكئة وهي تقول:«الافضل ان أذهب، فأنا لا اريد ان يباغتني زحام السير في شوارع لندن عند المساء.»

بعد ان وعدت صديقتها بأن تخبرها إذا هي التحقت بوظيفة اخرى، توجهت عائدة الى سيارتها. كان الطريق شبه خال، ولم يبد على المكان العام في الزاوية أي أثر لحياة، ولكنها كانت تدرك ان المكان سيعج بالسائحين بعد شهر واحد فقط.

سارت ببطء متفادية قطعان الغنم، بينما تقاوم الرغبة في الخروج من سيارتها لإلقاء نظرة على جانبي الطريق. ولكنها، بدلا من ذلك، تابعت طريقها خلال بلدة باكفاتيلي بشوارعها الضيقة متجهة الى إكزيتر ومن ثم الى طريق لندن.

بدت لندن، تحت اشعة شمس العصر، في أحسن حالاتها. ولكن لم يكن هناك شيء يمكن ان يغيّر جوّ المستشفى الكئيب. اوقفت سيارتها خلف المبنى، ثم تقدمت نحو مكان رئيس الحمالين مولينز الذي أشرق

www.alkottob.com

وجهه سروراً لرؤيتها مرة اخرى، وقال:«انني مسرور لعودتك يا آنسة. ان عليك ان تذهبي الى المكتب الساعة الخامسة.» ونظر الى الساعة خلفه، ثم اضاف:«مازال لديك وقت كاف للذهاب الى مسكن الممرضات وتحضري مفتاح غرفتك.»

كانت المسؤولة عن المسكن، جديدة، قد بان في وجهها التذمر وهي تقود أوجيني الى غرفة تقوم في الناحية الخلفية من المبنى، وتشرف على المداخن والجدران القرميدية، وهي تخاطبها قائلة:«حيث انك ستتركين المستشفى آخر هذا الشهر، فقد شغلت غرفتك الأولى.» وتركتها مبتعدة.

اخذت اوجيني تفكر في ان المسؤولة القديمة كانت، في مثل هذه الحالة، ستدعوها الى تناول فنجان من الشاي حيث تتداولان اخر الاخبار. ولكن ما زال ثمة وقت تصنع فيه لنفسها فنجان شاي.

وهكذا ذهبت الى غرفة المائدة حيث وجدت اثنتين من صديقاتها كانتا مسرورتين لرؤيتها. وبعد ان جلست معهما فترة تناولت فيها فنجان الشاي تركتهما متوجهة الى المكتب.

تلقت من رئيسة هيئة الممرضات ترحيباً اظهرت فيه قدر ما يسمح به طبعها المتزمّت من حرارة. وكانت هذه إمرأة باردة الطباع، حسنة الشكل، بالغة التزمت.

كان على اوجنتي ان تبدأ العمل في غرفة العمليات في الصباح التالي. وستمكث معها الممرضة التي من المفترض ان تأخذ هي مكانها لهذا الشهر، ستمكث يومين تريها، اثناءهما، سير العمل ما يجعلها تشعر

بالثقة، وهي تقول لها:«لن يشكل العمل هنا أي صعوبة لك، يا آنسة شبنسر. فقد سبق وعملت في غرفة العمليات من قبل ان ترتقي الى وضعك الحالي، أليس كذلك؟»

أومأت اوجيني برأسها بأدب. كانت آسفة لتركها القسم الذي كانت تعمل فيه، ولكنها كانت تحب قسم العمليات كذلك.

امضت المساء في تنظيم امتعتها وتلقت أخبار المستشفى، ثم الاتصال هاتفياً بأمها تطمئنها الى وصولها سالمة، ثم في تناول الشاي مع صديقاتها، لتأوي اخيراً الى فراشها لتفكر، قبل ان تستلم للنوم، فيايديرك ريجنما تير ساليس، كما كان هذا اول ما فكرت فيه بعد ان استيقظت.

والذي كان ايضاً اول من شاهدت في الصباح وهي تدخل غرفة العمليات.

www.rewity.com
^RAYAHEEN^
www.alkottob.com

سارت معه الى سيارته حيث لوحت له مودعة وهو يبتعد. فكرت متأملة وهي تنظر الى سيارته تتوارى خلف المنعطف المؤدي الى الطريق العام، في مبلغ غرابة ان يقابل المرء شخصا ما، ويقع في الحب بينما هو يدرك أنه لن يرى ذلك الشخص بعد ذلك ابدا في حياته. لم تكن تعلم ان الوقوع في الحب يكون بهذا الشكل.

عادت الى والدتها تمسك بذراعها قائلة:«كم اتمنى لو اتزوجه...» ثم اضافت:«لا تضحكي مني.»

استدارت والدتها تنظر إليها ثم تجيبها:«كلا، يا عزيزتي. انما تذكري ما سأقوله لك إذا كان مكتوبا لكما اللقاء مرة اخرى والوقوع في الحب ثم الزواج، فلا شيء يمكن ان يمنع هذا من الحصول.»

قبلت اوجيني والدتها وقالت:«انني لا استغرب زواج أبي منك. إنني اعني هذا يا أمي.»

«أعلم انك تعنينه يا حبيبتي. والآن ادخلي لنبدأ اعمالنا المنزلية.»

بينما كانتا تقومان بالغسيل معاً، قالت اوجيني فجأة:«انني لا اعرف شيئاً يذكر عنه، ومع ذلك اشعر وكأنني كنت اعرفه طوال حياتي.»

من عصر ذلك النهار خرجت في نزهة طويلة سيراً على الاقدام مانحة بذلك الفرصة للتعقل بأن يحل مكان احلام اليقظة التي ليس فيها أثر في الواقع. كان الشيء الوحيد الحقيقي هو انها وقعت في غرام رجل من غير المحتمل ان تراه مرة اخرى. وقالت تحدث نفسها وهي تتجه عائدة الى البيت، آه، لا بأس من الافضل ان احب وأفقد حبي من ألا احب مطلقا.»

شعرت بإغراء بالغ في ان تستفسر عنه من توم رايلي، ولكن لم يكن لديها سبب للاتصال بذلك السيد إذ أن ما بينه وبين أبيها لا يعدو معرفة سطحية، هذا الى ان السؤال عن الدكتور ريجنماتير ساليس من وراء ظهره بدا لها نوعا من التجسس.

عندما وصلت الى البيت وجدت خبراً مفاده، ان كان بإمكانها ان تذهب لرؤية الاستاذ واطس بالنسبة الى اتحاد الأمهات، وعما إذا كان بإمكانها ان تحضر له معها شيئا من الأسبرين.

قالت أمها تعلق على ذلك:«يظهر انه مريض، بإمكانك ان تأخذي له معك شيئا من الحساء الذي صنعته، فهو زائد عندنا.» ونظرت الى الشرود في ملامح ابنتها، ثم اضافت:«تناولي الشاي اولا، يا عزيزتي.»

فتح الاستاذ واطس الباب لها. كان يبدو تعساً وهو يقول متذمرا:«لم تأت السيدة بولارد إلي. لقد تركت لي الحليب والصحيفة فقط وهي تصيح من خلال فجوة صندوق البريد بأنها لن تأتي إلي إلا بعد ان أشفى لأنها تخاف العدوى.»

قالت اوجيني مخففة عنه:«لا يمكنك ان تلومها. إن لديها خمسة اطفال.» وتركته متجهة الى المطبخ لتضع إناء الحساء وهي تتابع كلامها:«بإمكانك ان تعتني بنفسك ليوم او اثنين، أليس كذلك؟ اتريد استدعاء طبيب؟ ان الدكتور شاو في هولن هو كفء جدا. ربما انت بحاجة الى مضاد حيوي.»

قال:«كلا، كلا، لا حاجة بي لذلك. إنما، بالطبع لو كان لي زوجة لتعتني بي...» وألقى عليها نظرة خاصة تجاهلتها

www.alkottob.com

بإمكانه العودة الى تنقلاته المعتادة بعد وقت قصير. ولا أدري إذا كان ذلك الرجل قد وصل سالما الى مكان توم رايلي.»

يبدو ان هذا حصل فعلاً، إذ ان ساعي البريد حمل إليهم، في الصباح التالي، صندوقا معنونا بإسم السيدة سبنسر. وكان يحتوي على ورود. ليس عدة وردات فقط، وإنما على دزينتين منها وبصحبتها بطاقة موقعة بالأحرف (إ. ر. تير. س) وكانت الكتابة على البطاقة بخط مستعجل بحيث تساءلت السيدة سبنسر عما إذا كان كتبها خطأ باللغة الهولندية. ثم عرضتها على اوجيني حيث أنها معتادة على قراءة خطوط الاطباء.

قالت اوجيني:«كلا، انها باللغة الانكليزية يا أمي، وهي تقول :(مع شكري الجم لضيافتك الحسنة).

قالت السيدة سبنسر:«لشدة ما انت ماهرة، يا عزيزتي، ولشدّ ما هي جميلة هذه الورود، كما انها بهذه الكثرة...»

كتبت اوجيني الى المستشفى بشأن عودتها المؤقتة الى العمل، فكان الردّ انهم يأسفون لكون مكانها قد شغل وأن عليها ان تمضي شهرها ذاك في غرفة العمليات حيث ان الممرضة الثانية ستقوم بإجازة. وسيعطونها شهادة ممتازة عند انتهاء العمل، ولا شك أنها ستجد عملا بنفس المركز في أي مكان تشاء.

وضعت الرسالة في جيبها دون ان تخبر والديها بمحتوياتها ما عدا أنها ستعود الى المستشفى لتعمل في غرفة العمليات بدلا من مكانها الأول.

قالت أمها:«هذا سيكون تغييرا حلوا، يا عزيزتي ما دام

لا يشبه بحال قسم الطوارىء الذي نراه على شاشة التلفاز.»

تركت اوجيني منزلها اثناء الاسبوع الأول من شهر أيار (مايو)، وذلك ذات صباح خلت فيه السماء من الغيوم، كما بدت الأراضي السبخة في اوج جمالها وهي تستقل سيارتها كارهة. اتخذت الطريق الذي يمر في هولن حيث كانت تريد ان تتوقف هناك لتودع صديقة لها تعمل في مقهى صغير اثناء شهور الصيف.

وهكذا امضتا معا نصف ساعة ممتعة تناولتا اثناءها القهوة، لتقف بعدها اوجيني متلكئة وهي تقول:«الافضل ان أذهب، فأنا لا اريد ان يباغتني زحام السير في شوارع لندن عند المساء.»

بعد ان وعدت صديقتها بأن تخبرها إذا هي التحقت بوظيفة اخرى، توجهت عائدة الى سيارتها. كان الطريق شبه خال، ولم يبد على المكان العام في الزاوية أي أثر لحياة، ولكنها كانت تدرك ان المكان سيعج بالسائحين بعد شهر واحد فقط.

سارت ببطء متفادية قطعان الغنم، بينما تقاوم الرغبة في الخروج من سيارتها لإلقاء نظرة على جانبي الطريق. ولكنها، بدلا من ذلك، تابعت طريقها خلال بلدة باكفاتيلي بشوارعها الضيقة متجهة الى إكزيتر ومن ثم الى طريق لندن.

بدت لندن، تحت اشعة شمس العصر، في أحسن حالاتها. ولكن لم يكن هناك شيء يمكن ان يغيّر جوّ المستشفى الكئيب. اوقفت سيارتها خلف المبنى، ثم تقدمت نحو مكان رئيس الحمالين مولينز الذي أشرق

www.alkottob.com

الفصل الثاني

اشرق وجه أوجيني، سروراً ورفعت بصرها الى وجهه الهادىء وهي تقول:«كنت اعلم اننا لا بد ان نتقابل مرة اخرى. ألم تكن انت ايضاً تعلم ذلك؟»

لم يبد أي دهشة لمرآها، ولكنه أجابها بقوله:«نعم، كنت اعلم.» وحدّق إليها من طوله البالغ، متابعاً:«هل ستعملين هنا مع الممرضات الأخريات؟»

اومأت قائلة:«نعم، إنما لشهر واحد. كنت اظنك طبيب امراض داخلية...»

«بل انا جرّاح.»

ابتسمت له:«اظن انني سأراك مرة اخرى.»

فوقف جانباً لكي تمر وهو يقول:«آه، دون شك.»

كانت عندما تلاقت اعينهما، ظنت انها رأت سروراً يكسو ملامحه، ولكنه الآن بدا لها بارداً متحفظاً، فاتجهت نحو مكتب رئيسة القسم، شاعرة بالخذلان، ثم قدمت نفسها للعمل.

رحبت بها الممرضة المسؤولة وقد بدا عليها الارتياح:«حسناً، ها قد تلقيت بعض العون، على الأقل، ثم انك تعرفين طريقك بين الغرف، أليس كذلك؟ لقد حدثت تغييرات عديدة اثناء غيابك... منذ السنة الماضية، أليس كذلك؟ وأنا لم اتغير بالطبع، حيث ان الممرضة ثورب في إجازة مرضية.»

لم يكن هناك شيء من الممكن ان يغير الممرضة كروس، تلك المرأة المسنة العجفاء المعقوفة الأنف، ذات العينين

السوداوين الصغيرتين اللتين لا يفوتهما شيء، وكانت الممرضات التلميذات يسخرن منها وراء ظهرها، بينما تتملكهن الرهبة عندما يرسلن العمل عندها في قسم العمليات. كانت في منتهى القسوة في اصرارها على ان يكون العمل في اعلى مستوى، كما كانت تحكم سيطرتها على غرف العمليات الثلاث بقبضتها القوية. حتى ان بعض الاطباء المقيمين يحسبون لها ألف حساب، انما الجراحون كانوا يحبونها جداً حيث انها كانت موضع اعتمادهم تماماً.

كانت اوجيني تحبها، هي ايضاً. فكانتا تنسجمان معاً في العمل حيث انهما كانتا تقدر احداهما الاخرى حق قدرها، كما انها وجدت ان أوجيني لم تكن تخاف منها وخصوصاً من لسانها الحاد، بينما تقوم بأي عمل يطلب منها.

دعيت الى الجلوس بينما أخذت الممرضة كروس.تحدثها باختصار عن برنامج عمل الاسبوع القادم.

«ان لدينا استشارياً زائراً هو الدكتور ريجنما تير ساليس وهو هولندي وجراح ممتاز، مختص بجراحة القلب. وهو هنا بدعوة من الدكتور بيبر ليعرض طريقة جديدة في استبدال صمامات القلب. وهو سيبقى هنا مدة اسبوعين او نحو ذلك، ثم يذهب الى أدنبره وبيرمنغهام. انه مهذب جداً والتعامل معه سهل.»

اخذت أوجيني تتساءل عما إذا كان عليها ان تخبر الممرضة كروس بأنها سبق وتعرفت عليه، وأخيراً قررت ان من الافضل ان تفعل هذا، وعندما سمعت الممرضة كروس قولها بهذا الشأن، قالت لها:«همم...» ثم طلبت

www.alkottob.com

منها ان تذهب الى غرفة العمليات الثانية لتتأكد مما إذا كانت المرضة هناك جاهزة للمساعدة في إجراء سلسلة من العمليات الصغيرة.

كانت هناك قائمة طويلة تبتدىء بأحداث ممر في صمام قلب. قالت المرضة كروس:«يمكنك ان تجهزي نفسك انت ايضاً، للوقوف مع الدكتور. وكلما اسرعت في العودة الى نظام العمل، كان ذلك افضل.»

وهكذا جهزت اوجيني نفسها، ثم استلمت مريض الدكتور ريجنما تير ساليس الذي عاملها بشكل مؤدب وجاف جعلها تشعر بالانكماش بالنسبة لمشاعرها نحوه. لم تكن تتوقع منه ان يغمرها بمودة ساحقة، ولكن لم يكن ثمة حاجة الى ان يبدي لها كل هذا الجفاء...

لم يكن بها حاجة الى إظهار نشاط زائد. فقد كان غير مسرع ولا قلق وهو يعمل منحنياً بجسمه الكبير على مريضه الولد الصغير الممدد على منضدة العمليات، حيث كان يخيط ويقطع بصبر وهدوء، جعلاها وهي غير الواثقة من قدراتها، تستقر وتهدأ دون ان تساورها أي شكوك من ناحيتهما. ابتدأت تشعر بالاستمتاع بعد الدقائق القليلة الأولى. لقد احبت دوما العمل في قسم العمليات. اطمأنت الآن الى انها لم تنس ايا من مهارتها القديمة.

لم تكن العملية سهلة، وقد استغرقت وقتاً اكثر مما كان متوقعاً لها، وهكذا تأخرت بعدها العمليات التالية، ولكن الدكتور ريجنما تير ساليس انتهى اخيراً، فشكر اوجيني بأدب، ونزع قفازيه ووقف ريثما فكت ممرضة اربطة ثوبه من الخلف، ثم خرج ليستلم بعده الدكتور

بيبر ليقوم بتمييل القلب. وخرجت لتتناول غداء متأخر، وعند العصر كان لديها عملية التهاب الزائدة. وعند الساعة السادسة كانت متلهفة للذهاب بعد ان انتهى عمل اليوم، بينما كانت الممرضة كروس تنبهها الى انها ستكون تحت الطلب هذه الليلة، وهي تقول:«انني اعاني نقصاً في الممرضات والإجازات أيضاً. ان ممرضة قسم العمليات الليلية لديها المقدرة على استلام الحالات العادية، اما انت فسيكون استدعاؤك فقط للحالات التي لا تستطيع هي تدبير امرها.»

امضت اوجيني المساء تكتب الى موطنها، متحدثة الى صديقاتها، بينما تتساءل اين عسى دكتور ريجنما تير ساليس ان يكون ذهب. ثم ذهبت الى فراشها مبكرة شاعرة بانقباض غامض لم تفهم له سبباً.

استيقظت عند الساعة الثانية صباحاً على يد تهزها بسرعة. «هنالك شاب مصاب بطلق ناري، يا اوجيني، رصاصة في القلب. ايمكنك ان تكوني في غرفة العمليات خلال عشر دقائق؟ ان الممرضات هناك قد جهزن كل شيء.»

كانت التلميذة الممرضة قد اضاءت النور ووضعت بجانبها فنجان شاي وهي تسألها:«هل استيقظت تماماً؟»

تركت اوجيني فراشها قائلة:«شكراً. عند وصولي الى قسم العمليات سأكون قد استيقظت تماماً.»

ارتدت ثيابها بسرعة، وجمعت شعرها الى الخلف مشبكة إياه بالمشابك بشكل غير منظم لتضع فوقه القبعة البيضاء، بعد ذلك شربت الشاي على عجل وأطفأت

www.alkottob.com

النور ثم سارت بهدوء خلال مسكن الممرضات لتدخل بعد ذلك المستشفى والذي كان بالغ السكون حيث ان الوقت ليل والمرضى راقدون، إلا من اصوات معدنية ناتجة عن نقل معدات المرضى، وتنظيم فناجين الشاي وصحونها في المطبخ كما ان الخطوات الهادئة كان صداها يتجاوب في المكان.

دخلت الى قسم العمليات حيث قابلت الممرضة الليلية التي بدا عليها الارتياح لرؤيتها، وقالت:«انه هنا. لقد جهزت كل شيء امكنني التفكير فيه.»

«حسنا، ألم يحضروا المريض بعده؟»

«كلا. هل لك ان تجهزي نفسك الآن؟ اننا وحدنا نحن الاثنتين هنا، فهل هذا يكفي؟ المسؤولة الليلية تقول انت لديها نقصا في الممرضات.»

ابتسمت اوجيني تطمئنها قائلة:«إذن، فسنتدبر الأمر.»

خرجت الى حيث تغسل يديها وترتدي الثياب المعقمة، وما ان اجتازت مكتب الممرضة المسؤولة حتى توقفت:«آنسة سبنسر، لحظة واحدة من فضلك.»

كان الطبيب ريجنما تير ساليس جالساً عند المكتب مرتديا ملابس غرفة العمليات الفضفاضة. رفع عينيه عند دخولها، قائلا:«انني آسف لجعلك تتركين فراشك، انه فتى اصيب في مشاجرة ليلية في الشارع بطلقات رصاص في صدره. وقد دخلت قلبه، ما يجعل بقاءه حيا، شيئا غريبا، كما استقرت عدة رصاصات في شغاف القلب ورصاصة واحدة على الاقل في البطين الأيمن، سيكون هنا السيد سايمز المسجل المسؤول، وكذلك اثنان من الاطباء المقيمين. هل تحتاجينت الى مزيد من الممرضات؟»

أجابت:«لقد تركت لي المسؤولة الليلية خبراً بأن لديها نقصا في الممرضات. ان ممرضة القسم غاية في الكفاءة، فإذا احتاج طبيب البنج ممرضة فسأطلب واحدة.»

جذب الهاتف نحوه وهو يقول لها:«انصرفي الآن وجهزي نفسك.»

رمقته بنظرة سخط، لم يظهر عليه انه لاحظها وانصرفت، لأن الوقت لا يسمح بمكاشفته في طريقة كلامه. ومضت لتعد نفسها للعمل معه.

في غرفة العمليات، اخذت تفرز الادوات، وتتأكد من ان كل المعدات جاهزة مع كيث التقني، واكتشفت ان هناك ممرضة للبنج وتلميذة تمريض أعلى مركزاً لمساعدة الممرضة المسؤولة.

لا بد ان الدكتور ريجنما تير ساليس قد استعاد جاذبيته. حتى في الساعة الثانية صباحا كان عليها ان تعترف بذلك، وبجانب ذلك، فقد كانت تحبه. عند ذلك توقفت عن التفكير به وانصرفت الى عملها الذي بين يديها.

لم يعد الوقت مهما، فقد كانت مركزة كل احاسيسها على عملها، وقد انتبهت الى ان الدكتور ريجنما كان يعمل بثقة تامة، فيخرج الرصاصة من قلب الرجل وجدار الصدر بحذق ومهارة كاملين دون أي تسرع، وعندما اصبح راضيا تماما ومقتنعا بأن آخر جسم غريب قد اخرج من الجسم، كانت الساعة السادسة، فانصرف الى الخياطة والاهتمام الدقيق بالتفاصيل.

اما ان الرجل كان ما يزال حيا، فتلك هي الاعجوبة، ولكنه كان شابا قوي الجسم، وحظه في الشفاء كبير، وهكذا

www.alkottob.com

حمل بعيداً الى غرفة العناية الفائقة، يتبعه الجراحان وطبيب البنج. بينما اخذت اوجيني ومجموعتها في تنظيم وتنظيف المكان، ذلك ان ممرضات النهار سيصلن للعمل في الوقت الذي يفرغن فيه من كل ذلك.

قالت لها الفرصة الممرضة كروس:«الافضل ان تذهبي الى فراشك مباشرة بعد انتهاءك من تناول افطارك، وعودي للعمل الساعة الخامسة حيث تمكثين الى حين وصول ممرضات الليل.»

خرجت اوجيني الى غرفة الطعام حيث تناولت الإفطار، رغم انها لم تكن، لغلبة النعاس عليها، لتنتبه الى نوع ما كانت تأكل، ثم دخلت غرفتها حيث اغتسلت وأوت الى فراشها. ورغم تعبها ذاك، فقد وجدت وقتاً تفكر فيه في الدكتور ريجنما، فهي لم تره منذ ان ترك غرفة العمليات، وهو يشكرها بأدب، وكان من غير المحتمل ان تراه عندما تعود الى العمل فيما بعد، راجية ألا يكون متعباً للغاية.

بعد الساعة الرابعة، دعتها احدى صديقاتها الى فنجان شاي، فانقلبت في فراشها وعادت تغمض عينيها وهي تتمتم:«انني متعبة جداً.» ثم دفنت وجهها في الوسادة. ولكنها صديقتها ردت عليها قائلة:«كلا، انك غير متعبة، فليس لديك ما تعملينه في قسم العمليات سوى الجلوس في المكتب وتناول القهوة والخوض في أخبار المستشفى.»

عند الساعة الخامسة، كان الإرهاق ما يزال واضحاً على وجهها الذي بقي، مع هذا، على جماله الرائع، ثم دخلت تقدم نفسها في مكتب رئيسة القسم.

سألتها الممرضة كروس:«هل نمت جيداً؟ لا شيء هناك في الوقت الحاضر ستعود الممرضة تيمز من تناول الشاي بعد خمس دقائق. ان بإمكانها ان تقفل غرفة طبيب الأسنان، وقد تركت لك برنامج العطل لكي تريه، ويمكنك ان تكتبي التقرير النهائي، وترسلي الغسيل.»

وناولتها الممرضة كروس المفاتيح:«من الافضل ان تذهبي الى فراشك مبكراً.»

أجابتها اوجيني بفتور:«نعم.» كانت تتمنى، لو أتيحت لها الفرصة، ان تذهب الى فراشها في هذه اللحظة.

كانت الممرضة تيمز فتاة هادئة صغيرة الحجم ذات ملامح متزمتة، وكانت قديرة في عملها إنما ليست محبوبة تماماً من زملائها، وعندما عادت، صنعت الشاي لأوجيني ثم خرجت لتؤدي عملها في غرفة طبيب الاسنان والذي كانت اوجيني متأكدة من انها ستؤديه على افضل وجه.

شربت اوجيني الشاي، ثم استدارت الى برنامج عطلات الممرضات. كان هناك عدة التماسات لبعض ممرضات قسم العمليات يطلبن عطلاتهن في ايام معينة. ولا عجب ان تركت الممرضة كروس الأمر اليها. كما اخذت اوجيني تفكر باستياء. فلو ان كل الالتماسات ستقبل، ستعم عند ذلك الفوضى. وكانت الممرضة كروس قد وضعت عدة ملاحظات بقلم الرصاص مسجلة لنفسها عطلة في نهاية الاسبوع، ولأوجيني يومين في وسط الاسبوع.

قالت اوجيني بسرور:«سأذهب الى منزلنا.»

«هذا رائعاً.» كان هذا صوت الطبيب ريجنما تير

www.alkottob.com

ساليس وهو يدخل المكتب. اتكأ فوق المكتب يقرأ برنامج العطلات بشكل معكوس، ثم يتابع:«ان إجازتك هي الاربعاء والخميس... هل ثمة احسن من ذلك؟ فأنا ذاهب الى اكزيتر وسأوصلك معي.»

احمر وجه اوجيني، وبقيت لحظة لا تستطيع الكلام وكأنها فقدت صوتها، لكنه كان ينتظر جوابها، فقد تنفست بعمق، قائلة:«ان عرضك هذا هو لطف بالغ منك يا سيدي. ولكنني سأسافر بسيارتي لكي اعود فيها.»

«وهكذا أنا، هل يناسبك ان نعود ليلة الخميس؟ لا اظنه يتوجب عليك ان تكوني في بيت الممرضات قبل العاشرة مساء، أليس كذلك؟ فالمفروض ان الممرضات الصغيرات السن هن اللواتي بحاجة الى الحراسة.»

ذهلت اوجيني وقالت بشراسة:«بينما، نحن النساء الأكبر سنا، بإمكاننا ان نحافظ على انفسنا.» ووجهت نظرها إليه وقد زادها الغضب تألقا وجمالاً.

قال:«لا داعي لغضبك هذا. انك متعبة طبعا، ولكن ذلك العمل كان يستحق هذا التعب، فالمريض يتماثل للشفاء، ولقد مررت به للتو لألقي نظرة عليه.»

«لشد ما أنا مسرورة، ارجو الشفاء لهم جميعاً.» ابتسم لها، وخفق قلبها لهذا.

قال:«انك جيدة في عملك، كما ان مواهبك متعددة... بإمكانك، مثلاً، ان تجدي طريقك في وسط الضباب الكثيف، العناية بالضعفاء المصابين بالزكام الثقيل، ثم مناولة ادوات العمليات في الوقت المناسب تماما. سأكون في الخارج بانتظارك الساعة السابعة مساء الثلاثاء القادم... وليس بالإمكان التبكير عن ذلك، وإذا

كنا محظوظين، فسنصل الى بيتك حوالي منتصف الليل.»

ابتدأت تقول:«انني لم اقل...» ولكنها عادت فغيرت رأيها وهي ترى عينيه الزرقاوين المتألقتين متسمرتين على وجهها، فقالت:«هذا حسن جدا. اشكرك.»

اومأ برأسه، وتمنى لها ليلة سعيدة، وخرج بهدوء من الغرفة كما دخل.

لم يكن هناك ما يمنعها من التفكير به، فقد انهت برنامج العطلات بسرعة وقد غمرتها أحلام اليقظة. تساءلت عما إذا كان متزوجا... أم لعله خاطب، هل هو على علاقة مع فتاة هناك... في هولندا؟ ان عليها، لإراحة ذهنها، ان تجد جوابا لكل هذه الاسئلة. وربما ستتمكن من ذلك اثناء رحلتهما الى منزلها.

* * *

لشد ما تأخر قدوم مساء الثلاثاء ذاك. وحيث ان الممرضة كروس كانت في عطلة، فقد كان على اوجيني ان تكون هي المسؤولة مكانها في قسم العمليات، هذا الى كونها كانت مشغولة على الدوام تقريبا. كانت ممرضة القسم الاخرى تعمل في غرفة العمليات الثانية مستلمة الحالات الصغرى، هذا الى عدة تلميذات، كما كانت هناك قائمة عمليات نهار الاثنين اجراها الدكتور بيبر وعندما عادت الممرضة كروس في عصر ذلك النهار، وجدت ان الدكتور رينجما قد قام بإجراء عملية بعد الظهر.

نهار الثلاثاء، لم يكن ثمة أثر له، فخرجت بعد انتهاء عملها اليومي، في الساعة الخامسة مساء وهي غير واثقة مما إذا كان ما يزال يتذكر وعده لها بتوصيلها الى منزلها...

www.rewity.com RAYAHEEN www.alkottob.com

هل يمكن ان تشغله عن ذلك عملية خطيرة مستعجلة في القلب؟
غيرت ملابسها، وأعدت حقيبة ثيابها الصغيرة وفي السابعة بالضبط. كانت في فناء المبنى مقتنعة تماما بأنه لن يحضر.
لكنه كان متكئاً على جدار، بالغ الأناقة، وغارقاً في التفكير. وقبل ان تصل إليه، توجه نحوها قائلا وهو يبتسم متوددا:«مرحبا... ما اجمل حرصك على الدقة في الموعد.»
اخذ من يدها الحقيبة، ثم خرجا من المبنى معاً، كانت أوجيني قد قررت ان تفكر في اشياء مرحة فكهة تقولها، ولكنها، بدلا من ذلك بادرته بإبداء ملاحظة عن الجو:«يبدو وكأن المطر سيهطل.»
لوى شفتيه:«اظن هذا محتملا جداً.» وكان اثناء ذلك وضع حقيبتها في المقعد الخلفي، وساعدها على الصعود الى المقعد بجانبه، ثم تحرك بالسيارة. وفكرت في ان ليس لديها وقت للخوض في أمور تافهة. وجلست هادئة وقد تغلبت على خجلها، وهو يجتاز المدينة وضواحيها، ولكنهما عندما تخلصا من حركة السير المزدحمة، سألته فجأة:«هل انت متزوج؟»
اخفى دهشته لسؤالها هذا، وأجاب بهدوء:«كلا.»
قالت تلح عليه:«لكنني اتوقع ان تكون خاطبا.» ولكنها لم تكن تتوقع، في الحقيقة، ان يقول:«نعم، انني خاطب.» وذلك بلهجة تحداها فيها ان توجه إليه اي سؤال آخر.
شعرت بالمفاجأة، ولم تعرف لماذا، كانت تفترض انه خالي القلب. فهو وسيم، بارز في مهنته، ويملك، كما

يبدو مالاً كافياً لحياة مريحة تماماً. وتساءلت عمن يمكن ان تكون فتاته. ولما كانت أوجيني، هي أوجيني، فقد تابعت استعلاماتها رغم البرود الواضح على ملامحه.
فعادت تسأله:«اظنها هولندية.»
«نعم.»
«هل هي جميلة؟ ماذا تعمل؟»
أجاب بعد فترة صمت:«ان لديها اصدقاء كثيرين جداً، وهي تسافر كثيراً وتقوم ببعض الأعمال الاجتماعية...»
«ولكنت أليس لديها وظيفة؟»
«كلا، انها ليست بحاجة للعمل.»
قالت:«حسنا، سيكون هذا أمر جيداً عندما تتزوجان اعني انه سيكون بإمكانها البقاء في المنزل للعناية بالأطفال.» وجعلتها هذه الفكرة تشعر بالكآبة.
قال بلهجة جامدة:«آه، نعم، اظن ذلك. هل اتصلت بأمك هاتفيا لتخبريها بأنك ستصلين متأخرة هذا المساء؟»
أدركت اوجيني انه بتحويله الموضوع، انما يريد تقريعها... حسنا، لا بأس. وأجابت وهي تشعر بنوع من التعاسة لا تدري مصدرها:«نعم، لقد اتصلت بها. وإذا كنت لا تريد ان تتكلم عن خطيبتك، فهذا لا يهمني.»
قال بلهجة تهكم:«هل قلت انا انني احب الحديث عنها؟ انه انت التي...»
قالت بحدة:«لا بأس. لقد كنت فقط اقطع الوقت بالحديث.»
ضحك، ولكنه لم يجبها بشيء، واستمر في طريقهما بصمت، ما بدا معه الوقت طويلاً الى ان توقف امام مطعم، قائلا:«اظن لدينا وقتا كافيا لتناول فنجان قهوة وبعض الشطائر.»

www.alkottob.com

قالت بكبرياء:«انني افضل الشاي.» واتجهت الى استراحة السيدات حيث سرحت شعرها وأصلحت زينتها، ثم عادت تبحث عنه في ذلك المطعم المزدحم.
نهض عندما رآها، فتوجهت نحوه. كان يتصرف بتهذيب طبيعي كمن نشأ في احضان مربية جيدة.
«انا واثق من انك ترغبين في قطعة خبز محمص بالزبدة، لقد قطعنا، حتى الآن، مسافة لا بأس بها، ولكن مازال أمامنا وقت طويل لنصل.»
اخذت تتناول الشاي خلال فيض من احاديث رقيقة، أخذ يغرقها بها. لم تكن تسترعي منها انتباها خاصا، بل جواباً مختصراً من وقت لآخر. وخفف عنها هذا وبدد ما تشعر به من سوء في المزاج، فوجدت نفسها تخبره عن مرض والدها وعن الاستاذ واطس ومبلغ شوقها الى البراري، ثم عادا الى السيارة، لم يكن لديهما الكثير ليتحدثا عنه، فقد اصبح الصمت الآن ودوداً.
عمّ المساء وسادت الظلمة، وابتدأ المطر يهطل رذاذاً. بدت الطريق امامهما خالية، وحركة السير تكاد تكون معدومة.
شعرت اوجينا بالاطمئنان رغم احساسها بعدم الاهتمام الذي يصل الى الملل. فقد كان اكتشافها انه سيتزوج وان وجوده بقربها الآن وما يبدو عليه من السرور بمرافقتها، ما هو إلا شيء موقت، كان كل هذا بمثابة صدمة لها. في الواقع ان ادرك ما كانت تأمل، كان لرحلتهما هذه ان تتمتد الى الأبد.
لاحت عن بعد أنوار مدينة اكزيتر وكانا الآن في الطريق المؤدي الى بلايموث. كان هذا يحدث بسرعة بالنسبة

إليها، ثم يتحولان ليصعدا ببطء التل ويهبطا منه الى دارتميت وتباطأ سيرهما بسبب الأغنام التي كانت تجول في الانحاء ببالغ الحرية، لم يمض وقت طويل حتى كانا يسلكان الطريق الضيق الى القرية ليتوقفا، بعد ذلك، بهدوء، عند باب منزل والدها.
نظرت اوجيني الى ساعتها. لم يستغرق الطريق اكثر من اربع ساعات فقد كان سيرهما سريعا. خرج من السيارة وفتح لها الباب.
قالت له:«لا بد ان تدخل وتشرب شيئاً، لأن والدتي...»
قاطعها:«كان هذا ليسرني حقا، ولكن لا بد لي من العودة الى إكزيتر. سأراك يوم الخميس حوالي الساعة السادسة.»
قالت وهي ترى والدتها واقفة عند مدخل الباب تنظر إليها:«شكرا لتوصيلك لي. سأكون بانتظارك. انما انتبه إلى قيادة السيارة.»
ابتسم لها، لكنها لم تستطع رؤية وجهه بوضوح في الظلام. صعد الى سيارته وتحرك بها تاركا اوجيني، تدخل المنزل وتوضح لوالدتها ان وقته لم يكن يسمح له بالدخول معها.
سارت أمها امامها في المطبخ وهي تقول:«لا بأس، ما دام لديه سرير يمضي فيه الليل، وعشاء يأكله. هل سيعيدك معه الى لندن؟»
«نعم. وعليّ ان اكون جاهزة الساعة السادسة من مساء الخميس. كيف حال أبي؟»
«جيد جدا بالنسبة الى حالته. لقد شفي الاستاذ واطس من الزكام، وقد ساعدته انا في يوم اتحاد الأمهات وكشاف

www.alkottob.com

الأحد.»وابتسمت لابنتها.«لقد اشتقنا اليك، يا عزيزتي.»
وضعت امام ابنتها صحفة حساء وأخذت تقطع بعض الخبز وهي تقول:«انه سيجوع، رجلك الهولندي اللطيف ذاك.»
قالت اوجيني مكتئبة:«انه ليس رجلي. انه خاطب لفتاة هولندية.»
حدقت الأم في ابنتها:«ولكنه غير متزوج. هل تحدثتما في هذا الأمر؟»
هزت اوجيني رأسها:«لم يعجبه ذلك. كما أظن فهو لم ينطق بغير لا ونعم. هذا إذا فهمت ما اعني.»
«هذا غريب. ان الرجل عادة، عندما يكون مغرماً بفتاة، لا يتوقف عن الحديث عنها.»
اخذت أوجيني في تناول الحساء وهي تقول:«ربما ظن أنني فضولية.»
«وهل كنت كذلك، يا عزيزتي؟»
«كنت اريد ان اعرف، يا أمي. وقد عرفت الآن، وهكذا بإمكاني ان اتصرف. أليس كذلك؟ سأنساه.» كانت تتكلم ببشاشة، حيث انها لم تكن تصدق كلمة مما كانت تقوله.
حفلت إجازتها هذه بكل غريب طارىء. فقد كان عليها ان تأخذ الكلب تايغر الى الطبيب البيطري لإعطائه إبر الوقاية، وأثناء انتظارها له، قامت بالتسوق الأسبوعي لأمها كما زارت السيدة آش العجوز التي تعيش مع ابنها في مزرعة بعيدة آخذة معها كعكا وزهورا حيث ان السيدة العجوز ستحتفل بذكرى مولدها التسعين في الاسبوع القادم.

عندما عادت الى البيت كان الاستاذ واطس مع ابيها يحدثه عن عزمه على تغيير اوقات الخدمات المدرسية.
تدخلت اوجيني في الحديث قائلة:«ان هذه الاوقات لم تتغير منذ عشرات السنين. وانت تريد ان تقوم بهذا فقط لأنه ملائم لأوقاتك.» ولم تهتم لقول ابيها لها:«هس يا اوجيني.» بل تابعت ببعض الحدة:«وما الفائدة؟ انك سترحل بعد اسبوع او اسبوعين فيعود كل شيء الى ما كان عليه.»
شعر الاستاذ واطس بنفسه موزعة بين غيظه لعدم حصوله على ما يريد، وبين شعور الإعزاز الذي يكنه لأوجيني، بينما قالت هي:«ها قد فهمت ما اعني. انني مسرورة لموافقتك.»
منحته ابتسامة مشرقة، وأنهت الموضوع بقولها انها ستسير معه الى منزله اثناء عودته.
عندما عادت الى منزلها، قال لها والدها برقة:«المسكين يا عزيزتي.»
«آه، كلا، يا أبي. انت تعلم انك لا توافقه على ما يقول، وكل ما في الأمر انك رقيق الاحساس لا تحب ان تصارحه بذلك.» ثم دخلت المطبخ تساعد امها في اعداد العشاء.
في اليوم التالي، كان المطر ما يزال ينهمر، ولكن كان هنالك كثير من العمل في الحديقة وهكذا امضت الصباح تعمل سعيدة تهيء الأرض لزراعة انواع من الأزهار المفيدة. وعندما تحسن الجو اثناء الغداء، وذلك بشكل مفاجيء، بينما كانت الرياح ما تزال تهب بقوة، غسلت ستائر المطبخ ثم كوتها لتعلقها بعد ذلك في مكانها،

www.alkottob.com

وذلك قبل ان تغير ملابسها فترتدي بدلة التويد الذي جاءت به من لندن، ثم تحزم حقيبتها وتنزل لكي تكون بانتظار الطبيب ريجنما تير ساليس.
كان المطر قد توقف منذ وقت طويل، انما الرياح ما زالت قارسة. حضر الطبيب في الموعد المحدد حيث حيا اوجيني بشكل طبيعي ما كدر مشاعرها، وتناول القهوة والبسكويت من يد السيدة سبنسر، وتحدث قليلاً مع والدها، ثم أشار الى انه من الافضل ان يبدأ السير الآن عائدين الى لندن.
صافحهما، كما وجهت إليه السيدة سبنسر دعوة حارة بأن يأتي لزيارتهم في أي وقت يزور فيه البلاد، قائلة:«اننا معزولون قليلاً، ولكن ما دمت قد عرفت الآن منزلنا...»
شكرها بابتسامة، ثم افسح الطريق لأوجيني لكي تودع والديها، وكانا على أهبة الخروج من الباب، عندما قالت الأم بأسف:«سيتملك جوشا الأسف لعدم رؤيتك، يا أوجيني. هل ابلغه تحياتك الحارة؟» وابتسمت للطبيب ريجنما تير ساليس وهي تشرح له الأمر:«ان الاستاذ واطس كان يساعد زوجي بعمله عندما كان مريضاً.»
نظرت إليها ابنتها باستياء وقالت بلهجة حلوة:«لا تكلفي نفسك هذا العناء يا أمي العزيزة، فهو يعرف تماماً شعوري نحوه.»
في السيارة سألها الطبيب ريجنما تير ساليس على الفور:«هذا الاستاذ... جوشا؟ يبدو انه متيّم بك، ألا تبادلينه الاهتمام؟»
قالت بحدة:«لا تكن سخيفاً. انك تعرف تماماً انني

لا افعل ذلك. انه لا يستطيع حتى ان يسلق بطاطا.»
«اتعتقدين ان سلق البطاطا هو شيء مرغوب في الزواج؟»
«انا اعلم ان الرجل يجب ان يكون قادراً على القيام بشيء من مبادىء الطهو. هل تعرف انت الطهو؟»
كانا يقتربان من مدينة اكزيتر وقد لاحت امامهما انوارها فقال:«يمكنني ان اسلق البطاطا بكل تأكيد. كذلك احمص الخبز، وأيضاً اصنع الشاي.»
قالت:«آه، ومن علمك ذلك؟» ولم تهتم الى قلة الأدب في سؤالها هذا.
اجاب:«انها والدتي. لقد كانت دوماً يتملكها هاجس مؤلم وهو انني ربما تزوجت من امرأة لا تحسن فن الطهو.»
فصممت على متابعة استلتها القليلة الأدب هذه، فعادت تسأله:«وخطيبتك، هل تسحن الطهو؟»
«اظن هذا غير محتمل، ولكن ما دام عندي مدبرة منزل ممتازة، فهذا الأمر غير مهم.»
عادت تقول وهي تعلم انه لن يصفح عنها بعد هذا السؤال ولن يوصلها ابداً الى منزلها مرة اخرى، قالت:«انك ثري إذن.»
«آه، انك بالغة الصراحة، يا اوجيني، ولكنني سأريحك بقولي انني اشتغل لأعيش.»
«انك تتعب تماماً في سبيل ذلك. اعتقد انك تستحق كل قرش تكسبه...»
قال بوداعة:«انني اهدف الى ان اجعل للنقود قيمة.»
سكتت عند ذاك، فسألها:«وانت يا اوجيني مما رأيته من عملك، اعتقد انك انت ايضاً تجعلين للنقود قيمة.

www.alkottob.com

ما الذي تنوين عمله عندما تتركين المستشفى؟»
«انني غير متأكدة، فأنا لا اريد الارتباط وذلك لأجل حالة أبي. وأظن ان عليّ ان اذهب الى مكتب تمريض، حتى إذا كان عليه ان اذهب الى المنزل، استطيع ذلك بسهولة، لا اظن التمريض الخاص سيعجبني ولكن المستشفيات تطلب تعاقدا.»
قال:«يمكنك ان تتزوجي الاستاذ واطس، وأنا متأكد من انه سيكون راضيا تماما، كما انك ستكونين قريبة من والدك فيما لو احتاجك.»
قالت بقوة:«هل لديك فكرة عن شخصية الاستاذ واطس هذا؟ ان والدي مدير المدرسة منذ سنين لا اذكرها، وسينكسر قلبه إذا حدث فيها أي تغيير. انني لا اريد ان اتزوج الاستاذ واطس هذا...»
«انه هو الذي سيخسر. فأنت مناسبة تماماً لتكوني زوجة استاذ، وذلك لأنك تحبين السلطة، صريحة، ومدبرة، وقادرة.»
شعرت بغضب شديد وأسى لهذه الفكرة التي يكوّنها عنها. وقالت بهدوء:«ليس ثمة فائدة من هذا الحديث، أليس كذلك؟ دعنا نتحدث عن الجو.»
ضحك عند ذلك، وبقي صامتاً ما عدا إعطاء ملاحظات عابرة من وقت لآخر، ملاحظات من نوع تلك التي قد يدلي بها الى أي راكب غريب صدف ان تفضل عليه بنقله معه في سيارته.
في المستشفى خرج من السيارة وساعدها على النزول، وحمل حقيبتها وسار معها الى المدخل.
قالت:«اشكرك لتوصيلك لي. كان هذا لطفاً جماً منك.»

ابتسم لها وقال:«سأراك مرة اخرى. تصبحين على خير.»
لم تنم جيداً تلك الليلة، فقد كان ذهنها مشغولاً بالتفكير في السيد ريجنما تير ساليس، وهكذا شعرت بالسرور حين نهضت لتنزل بعد ذلك الى حيث تتناول الإفطار، وبعد ذلك الى قسم العمليات. حيّتها الممرضة كروس بطريقتها المتجهمة، ولكن اوجيني التي كانت سعيدة لكونها ستراه خلال الساعة القادمة، حيّتها ببشاشة تامة. وخرجت من المكتب لتتأكد من ان كل شيء جاهز لعمل الصباح.
كانت على وشك ارتداء الملابس المعقمة عندما جاء المسجل يحذرها قائلا:«انتبهي الى الطبيب بيبر، فهو حاد المزاج هذا الصباح...»
«الطبيب بيبر؟ هل هو الذي سيجري العملية القادمة؟»
«نعم، فقد سافر الطبيب ريجنما الى ادنبره لإجراء عملية زرع قلب... وأظنه سيمكث هناك يومين او ثلاثة.»
«لكنه كان في المستشفى الليلة الماضية.» فألقى عليها نظرة سريعة. كان رجلا متحفظا، ومعجبا بها، وكان قد رآهما معا عند عودتهما ولكنه لم يكن يريد ان يتحدث عن ذلك بل قال:«لقد سافر اثناء الليل، فلم يكن هناك وقت ليضيعه. وكان اقترح عليه ان يذهب بالطائرة، ولكنه فضل ان يذهب بسيارته. فالسفر بالطائرة، بما يتضمنه من ذهاب الى المطار، واللقاء هناك وغير ذلك، لن يكون اسرع من السفر بمثل سيارته القوية السريعة تلك.»
«ارجو ان تنجح تلك العملية.»
«إذا لم تنجح فلن يكون الذنب ذنبه، فهو جراح ماهر.»

www.alkottob.com

تركها وخرج بينما عادت هي تعد نفسها مع إحساسها بالضجر من الدكتور بيبر وطباعه السيئة.
لم يكن الطبيب ريجنما تير ساليس موجوداً ليشغل ذهنها، فقد ركزت افكارها على مستقبلها. فخرجت الى مكاتب التمريض تضع اسمها عندهم كممرضة خاصة. وكان الطلب على الممرضات الخاصات كثيرا، ولكن اكثر تلك المكاتب كان في لندن بينما هي تريد واحدا قريبا من بلدتها، في اكزيتر او بريستول او بلايموث. اقترح عليها السيد سايمز رغبة منه في تقديم يد العون لها، ان تجرب المستشفيات الخاصة، ولكن هذه المستشفيات طلبت تعاقدا قانونيا، وظهر ان الطلب على ممرضات جراحة وغرف عمليات، هو قليل ذلك ان ما يطلب من الممرضة ليس سوى المكوث في غرفة المريض وإعطائه العلاج الذي يأمر به الطبيب.
عاد الطبيب ريجنما تير ساليس بعد ذلك بأربع ايام، حيث اجرى عملية قلب مفتوح معقدة استمرت ساعات، ثم شكرها باختصار ليختفي بعد ذلك مرة اخرى. وفي اليوم التالي اخذت يومي عطلتها حيث طافت اثناءهما على مكاتب التمريض، فقد كان الوقت يمر بسرعة.
عندما عادت الى العمل، قابلته وهي في طريقها الى تناول العشاء، كانت تعتزم متابعة السير بعد ان تلقي عليه تحية مهذبة، ولكنه مد ذراعه يوقفها قائلا:«ليس بهذه السرعة، أين كنت؟»
«العطلة الاسبوعية.»
«هل ستتركين المستشفى قريباً؟»
«بعد عشرة ايام.»

«هل لديك وظيفة اخرى؟»
«لم اجدْ حتى الآن. لقد تأخرت عن العشاء يا سيدي.» وحاولت الابتعاد.
عاد يقول:«سأعود انا الى هولندا بعد اسبوعين. وممرضة غرفة عملياتي هناك ستأخذ إجازة وضع. وانا اريدك ان تأخذي مكانها اثناء غيابها.»
نظرت إليه قائلة:«انا؟ هولندا!»
«انها ليست آخر الدنيا، يا اوجيني. انها وظيفة مؤقتة فقط، وسيكون لديك اثناءها الوقت الكافي لتصلي الى قرار في ما عليك ان تقومي به.»
فتحت فمها لكي ترفض، ولكنه سارع يقول:«كلا. لا اريد جوابك الآن. اذهبي وتناولي عشاءك ثم فكري بالأمر مليا، واخبريني بقرارك بعد يومين.»
ذهب وتركها واقفة في منتصف الممر وهي تتساءل عما إذا كان كل هذا الحدثِ مجرد حلم. وعلى مائدة العشاء، قررت انه لم يكن حلما، فهو ليس بالرجل الذي يضيع وقته في المزاح.
قالت لها احدى صديقاتها اللاتي حول المائدةِ:«ان حالتك غريبة يا اوجيني، فأنت بعيدة عن هنا اميالا بعيدة.»
وقد كانت فعلا في هولندا... إنما في الخيال.

www.alkottob.com

الفصل الثالث

لم يكن من الصعب على اوجيني ان تقرر ما ستفعله إزاء عرضِ الطبيب ريجنما تير ساليس ذاك. فقد كانت هذا فعلا طيبا، رغم انها لم تكن واثقة من الخير الذي سيعود به عليها ذلك، ما عدا انه سيسمح لها بأن تكون بقربه لمدة اسابيع، وذلك في الوقت الذي كانت تعد نفسها فيه لإلقاء كلمة الوداع عليه، ثم لا تقع عينها عليه مرة اخرى.

ربما سيكون بإمكانها ان تكتشف شيئاً عن حياته، وعن اسرته وعن الفتاة التي سيتزوجها.

كانت معرفة ذلك ستؤلمها بالطبع، ولكنها ستتوقف بعدها عن احلام اليقظة...

لقد سافر الرجل المتعب مرة اخرى، فقد اخبرتها الممرضة كروس بذلك وهما تتناولان القهوة في الصباح التالي. قالت:«بيرمنغهام. طعنة من سكين مست شغاف القلب. وقد سافر الى هناك اثناء الليل.»

قالت اوجيني بخجل محاولة استدراجها الى المزيد من الكلام:«يبدو انه يتعب جدا في عمله.»

«يتعب اكثر من اللازم. لقد حان الوقت ليستقر مع زوجة تمنعه من ذلك. وهو سيتزوج قريبا في هولندا، كما سمعت، وهذا شيء حسن، ذلك ان نصف الممرضات واقعات في غرامه.»

لم تعلق جيني على هذا بشيء. انها لا تهتم للممرضات، وإنما لتلك الفتاة في هولندا، تلك التي سبق وسرقت قلبه

قبل ان تعرفه اوجيني. وما لبثت ان دخلت الى غرف العمليات تتفحصها. ولم يسمح لها انشغالها، بالتفكير فيه إلا بعد ذلك بوقت كبير. رأت ان قبولها الوظيفة التي عرضها عليها، سيقود الى اشياء اخرى، صحيح انها لم تكن فتاة مغرورة بنفسها، ولكنها لم تكن تستطيع تجاهل جمالها الصاعق، هذا الى ذكاء مقبول. كانت واثقة، نوعا ما من ان بإمكانها، إذا سنحت لها فرصة، ان تثير في نفس ريجنما تير ساليس شيئا اكثر من مجرد الصداقة الباردة التي رأتها منه حتى الآن، فهي حلوة الشخصية بقدر ما هي جميلة... فإذا كان يحب فتاته تلك، فلن تكون هي بالنسبة إليه، اكثر من ممرضة غرفة عمليات موقتة، تريه نفس الصداقة الباردة التي تراها هي منه. سيكون الأمر صعبا، ولكنها مستعدة تماما لهذا. حدثت نفسها بأنها ستحاول الاستفادة من هذه الاسابيع القليلة التي ستقضيها معه، وبعد ذلك تتابع حياتها من دونه تشبه بذلك بطلة لرواية عاطفية.

* * *

ما زال ليس هناك اثراً له. ذهبت الى بيتها بسيارتها في إجازتها التالية، وأخبرت أمها عن عرض الطبيب ريجنما ذاك عليها، فسألتها هذه:«وهل ستقبلين؟»

«نعم. سيكون لمدة اسابيع قليلة. فممرضة غرفة عملياته الخاصة في إجازة وضع. وهناك ممرضة اخرى ستأخذ مكانها، ولكنها غائبة لبعض الوقت. وهكذا، إذا انا ملأت ذلك المكان الشاغر، فإن ذلك سيمنحني فرصة اتدبر فيها أمري...»

www.alkottob.com

وافقتها والدتها على ذلك، بهدوء. لقد خطر لها ان وجود ابنتها في هولندا يجعل من الصعب عليها تدبر امر وظيفة في انكلترا، ولكنها لم تقل هذا. فقد تذكرت وقد انتابها الضيق، ان اوجيني كانت قالت لها مرة انها تتمنى لو تتزوجه. وهي تعلم ان ابنتها شابة ذات عزم وإصرار.

قالت اوجيني بلهجة واقعية:«انني اعلم ما تفكرين فيه، ولكن ليس لك ان تقلقي. انني استمتع بالعمل عنده، فهو جراح عظيم، وقد عملنا معا، وهو يبدي نحوي مودة انما جافة متحفظة.» وتنهدت ثم تابعت:«اظنه رجلاً يخلص تماماً إذا هو احب فتاة.»

قالت والدتها:«نعم يا حبيبتي. انه سيكون زوجاً رائعاً، انها فتاة محظوظة.» وألقت نظرة على وجه ابنتها البشوش الحازم في نفس الوقت. «والآن اخبريني بالمزيد عن هذه الوظيفة. انها فرصة رائعة ترين فيها هولندا.»

«ليس لدي أي فكرة عن المكان الذي سأذهب إليه... فهو لم يزد على سؤالي ان كنت اقبل ان اعمل عنده لعدة اسابيع وطلب مني التفكير في ذلك. ولم أره منذ ذلك الحين ولا أعلم متى يعود... انه دوما يأتي ويذهب...»

«اظن من المحتمل انه سيكون في المستشفى حين عودتك، يا عزيزتي.» واضافت:«ان جوشا واطس سيأتي لتناول العشاء عندنا. ان اباك يريد ان يتحدث معه في بعض الأمور.»

قالت اوجيني باستياء:«آه، يا أمي...» ثم اضافت بسرعة:«ان عليه ان يحضر طبعا. فهو لا يريد سوى ان ينظر إليّ.»

«نعم يا عزيزتي. انني اعرف ما تعنين، انما إذا انت سافرت لعدة اسابيع، ربما تجدين، عند عودتك، انه قد رحل.»

«هذا صحيح، وسأعامله بغاية اللطف.» وقد كان هذا خطأً منها إذ اعتبره تشجيعا له ومن ثم فرض حولها نوعا من الشعور بالتملك ما أثار غيظها. وهكذا، عندما ودعته عند الباب، ارادت ان تترك عنده انطباعا بأنها مسافرة لعدة اسابيع حيث سيكون، عند عودتها، قد رحل.

ابتسم وهو يربت على يدها ملقياً عليها نظرة خاصة جعلتها تشعر بالغثيان. ثم قال:«ربما سأكون ما زلت هنا. فوالدك ليس قويا الى حد كاف.»

تملكها الغضب، وسحبت يدها ثم صفقت الباب خلفه بعنف، لتتحول بعد ذلك الى المطبخ لتساعد أمها في غسل الاطباق.

سألتها والدتها:«هل كان مزعجاً؟»

«كان مزعجا فقط؟ انه فظيع يا والدتي. فهو مغرور، عديم الاحساس. هل ستستمر إقامته هنا طويلا؟»

«كلا يا عزيزتي، ان اباك يشعر بالقدرة على العودة الى العمل، وعندما تعودي، يكون هو قد رحل.»

«هل ستكونان بخير إذا انا ذهبت؟ انني انوي ان احصل على عمل بواسطة مكتب تمريض ليكون بإمكاني الحضور الى البيت فيما لو احتجتم إليّ.»

«انني متأكدة من ان ذلك الطبيب تير ساليس سيسمح لك بالعودة فوراً إذا نحن احتجنا اليك. ولكن حالة أبيك تحسنت كثيراً وسيراقبه الطبيب شاو على الدوام.»

www.alkottob.com

وهكذا عادت اوجيني الى المستشفى مطمئنة نوعاً ما، الى ان الحياة بالنسبة الى والديها قد عادت الى طبيعتها، وان بإمكانها ان تستمر في حياتها الخاصة مرة اخرى. وهذا ما ستقوم به عندما تعود من هولندا.
كانت تتناول القهوة مع الممرضة كروس بينما الممرضة الاخرى تقف بجانب الطبيب الذي كان يعالج جرحا في غرفة اخرى، عندما دخل. شاركهما في تناول فنجان شاي، ثم اخذ يتحدث مع الممرضة كروس عن عمل هذا النهار، وتحول إليها يسألها:«هل قررت القبول ما عرضته عليك، يا اوجيني؟»
اجابت وهي ترى الممرضة كروس تنظر إليها بدهشة:«نعم، شكرا يا سيدي. سأشتغل عندك بكل سرور.»
سألت الممرضة كروس:«عم تتحدثان؟ هذه اول مرة اسمع فيها هذا.»
منحها الطبيب ريجنما تير ساليس إحدى ابتساماته الفاتنة وقال:«لقد تكرمت اوجيني عليّ بالعمل عندي لعدة اسابيع الى ان تعود ممرضتي الخاصة.»
«وأين سيكون هذا؟ في هولندا؟»
«في اكثر البلدان، فأنا احب ان آخذ معي ممرضتي الخاصة لتساعدني اينما ذهبت... طبعاً لا حاجة لذلك هنا، ولكن هذا يجعل الامور اسهل كثيراً في الشرق الاوسط او اميركا او بعض بلدان البحر المتوسط.»
وافقته الممرضة كروس، بعد ان ان فكرت برهة، بينما لم تقل اوجيني شيئاً، لقد رأت الحياة تمتلىء فجأة بالامكانيات المشوقة.
انتبهت من هذه الافكار السارة الى قول الدكتور

ريجنما يقول لها بلهجة عملية:«اظن عملك سينتهي اخر الاسبوع القادم. اما انا فسأرحل خلال الايام القليلة القادمة، ولكنني سأقوم بكل تدابير سفرك. هل لديك جواز سفر؟»
اومأت بالإيجاب:«هذا حسن. سأعطيك التفاصيل قبل رحيلي.»
عندما خرج، قالت الممرضة كروس لأوجيني:«انك فتاة محظوظة حقا. إذا ان هذه الرحلة ستزودك بخبرة جيدة وربما سيمنحك، بعد ذلك شهادة ممتازة... لقد سبق وذكرت شيئاً عن العمل مع مكاتب التمريض. انهم سيتهافتون عليك بعدها. انه سيكون عوناً كبيراً بالنسبة لمستقبلك.»
ان بإمكانه ذلك حقاً. ومن المؤسف جداً انه لم يكن لديها رغبة في الحصول على وظيفة. انها تريد ان تكون زوجة فقط... وزوجته هو.
كانت هناك قائمة لعمليات بعد الظهر. وقد استلمت اوجيني مسؤوليتها حيث ان الممرضة كروس كانت خارج العمل. وعندما عادت الى عملها، كانت آخر عملية قد انتهت، وقد عادت اوجيني الى ملابس التمريض وجلست تكتب التقرير اليومي قبل خروجها. فجلست الممرضة كروس وأخذت المرأتان تخوضان في احاديث شتى قبل ان تنهض اوجيني تاركة القسم بعد ان انتهى دوام عملها.
لكنها ما ان فتحت الباب حتى وجدت الطبيب ريجنما تير ساليس واقفاً امامها.
قال لها بلهجة غاضبة:«لقد تأخرت.»

www.alkottob.com

شعرت بالضيق. فقد كانت تشعر بالتعب وعدم الاستقرار وتعاسة لا تدرك كنهها.

اجابت بحدة:«انني اشعر بإرهاق.»

«في هذه الحالة لن اؤخرك طويلا. انني ذاهب هذا المساء الى ليفربول وقد لا أراك قبل عودتي الى هولندا. لو كان مزاجك حسنا، لفكرت في دعوتك الى تناول العشاء في الخارج لنتمكن من الحديث عن الوظيفة. ولكن ما دمت لا تشعرين بأن في امكانك ذلك، فسأقدم لك التعليمات مدونة وكذلك كل المعلومات التي قد تحتاجينها.»

بدأت بالقول:«آه، لم اكن اعني...»

لكنه قاطعها:«لا تهتمي بذلك. سأراك في غرونينجن.»

وقف جانبا يفسح لها الطريق لتمر، وإذ رأت من نظرة واحدة إلى وجهه ان أي اعتراض على ما قاله، لن يفيد ابداً، تمتمت بالتحية ثم تابعت طريقها. انه رجل مزعج حقا، فهو يتوقع منها تقبل كل ما يقوله دون أي مناقشة.

عبست، لم تكن تعرف اين تقع غرونينجن تلك. فكيف تذهب الى هناك، ومتى؟ انما ما كان لها ان تقلق. في الصباح التالي عندما خرجت للعمل، وجدت مغلفا كبيراً معنوناً بإسمها وذلك على مكتب المرضة كروس. لم تجد وقتا للاطلاع عليه قبل حضور تلك السيدة الى مكتبها، وقبل ان تفكر في ان تقوم بذلك في غرفة الممرضات لتغيير الملابس، بادرتها المرضة كروس بقولها:«أرى ان تقفي انت مع الطبيب، فإن امامي العديد من الاوراق الرسمية علي ان املأها. عميلة فتح صدر، أليس كذلك؟ سمعت ان الطبيب بيبر سيء المزاج هذا الصباح.»

وكان كذلك في الواقع. وهكذا لم تستطع اوجيني ان تفتح المغلف للاطلاع على ما فيه، قبل ان تنهي عمل اليوم ذلك المساء. فقد كان يحتوي على تذكرة سفر بالطائرة، وبرنامج وإرشادات مطبوعة، ورقعة موقعة بإسم ريجنما تير ساليس. قرأت الرقعة اولا والتي كان يطلب منها فيها ان تقرأ الارشادات بعناية، وتضع حسابا دقيقا لنفقاتها اثناء السفر، لكي تعاد إليها فيما بعد، وتتذكر احضار جواز السفر ثم تجهز نفسها للسفر في اليوم المشار اليه في تذكرة السفر. وهذا سيكون بعد تركها المستشفى بثلاثة ايام ما سيسمح لها بتحضير ما ستكون بحاجة إليه والاطمئنان على والديها.

قرأت بعد ذلك ان رحلتها ستكون مباشرة الى غرونينجن، حيث انها ستمضي اياما معينة في الاسبوع تحت الطلب عند الطوارىء، فمن الافضل لها ان يكون سكنها في المستشفى. وستأخذ ثلاثة أيام عطلة اسبوعية، وثلاث ساعات فراغ يوميا، وستعطى مهلة اسبوع قبل ترك العمل.

كان هذا شيئاً غير عادي، كما اشير الى ذلك في الاوراق، ولكن التاريخ المعين لعودة ممرضة العمليات الى عملها الدائم، لم يكن محددا بعد. وهي ستستلم نفس الراتب الذي تستلمه نظيرتها الهولندية، والدفع شهريا، كانت التفاصيل بالنسبة للمستشفى، موجزة، وعندما انهت القراءة، لم تستطع ان تجد سؤالا واحدا بحاجة الى معرفة جوابه.

فكرت في ان هذه منتهى الكفاءة منه، ولكنها تمتمت تقول:«كان بإمكانه ان يخبرني بكل هذا شفهيا.

www.alkottob.com

وسمعتها إحدى زميلاتها الجالسات في غرفة الجلوس، فسألتها عن الأمر، ولم تجد سبباً للسرية، فحدثتها عن سفرها الى هولندا عندما تترك المستشفى، فكان الجواب هتافات الحسد وطلب معرفة كل التفاصيل. وكيف انها محظوظة.

في سريرها تلك الليلة، فكرت في انها محظوظة حقاً. فهي قد استقرت الى عمل بعد خروجها من المستشفى، واطمأنت على صحة ابيها، وقبل كل شيء، ستكون بجانب ريجنما تير ساليس. فكرت فيه والنعاس يغالبها، ثم نامت وهي تفكر في ان عليها ان تكتشف اسمه الأول في أقرب وقت ممكن، لقد كان ذكره عندما تعارفا لأول مرة، ولكنها نسيته، وهي ستسأله عنه في أول مرة تراه فيها بعد الآن.

إنما لم يكن هذا ممكناً الآن حيث انه لم يعد في هذه البلاد.

اكملت حزم امتعتها، ودارت على صديقاتها تودعهن، شاعرة بالأسف لترك هذا المستشفى الذي تعلمت فيه مهنتها وأكملت تدريبها الى ان اصبحت عضواً ماهراً في الهيئة التمريضية ولكن، ربما لو لم يكن الأمر يتعلق بوجود الدكتور ريجنما تير ساليس، لشعرت بالأسف حقاً لذلك.

وهكذا استقلت سيارتها، ولوحت بيدها لصديقاتها اللاتي خرجن معها حتى الباب يودعنها، ثم توجهت منطلقة نحو بلدتها. كان الوقت في الصباح الباكر وكان النهار رائعاً، وعندما خلفت لندن وراءها، ابتدأت تستمتع بالرحلة. ما زال أمامها يومان قبل السفر الى

هولندا، وبلدتها دارتمور بالغة الجمال في شهر أيار (مايو).

لم يكن اليومان كافيين بالطبع، فقد كان عليها ان تفرغ امتعتها وثيابها، لتأخذ معها ثياباً اخرى كانت مؤلفة من قمصان وتنانير وكنزات خفيفة ومعطف واق من المطر وسترة قصيرة واقية للمطر ايضاً ثم، حيث هناك احياناً اجواء دافئة، اخذت ثوباً خفيفاً من قماش الجيرسيه، وثوباً حريرياً بلون العسل. كما ألحت عليها والدتها ان تأخذ معها تنورة من الشيفون ذات ثنايا، بلون الشوكولا، وقميصها ذا اللون البني الفاتح، ونظرت أمها من النافذة قائلة:«ان الجو دافىء حقاً. يمكنك ان تشتري ثياباً صيفية هناك.»

اومأت اوجيني برأسها وهي تجيب شاردة الذهن:«لا ادري كيف ستكون ملابس التمريض هناك، فأنا اكره عدم وضع القبعة البيضاء على رأسي...»

قالت الوالدة:«حسناً يا عزيزتي، اظنك ستمضين اغلب وقتك، هناك، مرتدية ملابس العمليات. انك ستتصلين بنا هاتفياً حال وصولك الى هناك، أليس كذلك؟»

«في اللحظة التي أتمكن بها من ذلك، يا أمي، وسأكتب إليكما على الدوام، وإذا كنت مشغولة فسأرسل بطاقة بريدية.»

اقفلت اوجيني حقيبتها وهي تقول:«بما انني انهيت كل شيء، فسيكون بإمكاني الآن امتاع نفسي. هل يريد مني أبي ان اقوم لأجله بشيء معين اثناء وجودي في البيت؟»

نزلتا معاً فوجدا الأب في مكتبه. بادرها بقوله:«عليّ ان

www.alkottob.com

اقوم بتدريب الكشافة الأحد القادم. وسيرافقني جوشا للمساعدة في ذلك.»

سألته اوجيني:«متى سيرحل من هنا؟»

«بعد شهر كما اظن. وسيأخذ إجازة قصيرة قبل ان يتوجه للإلتحاق بمدرسة اخرى في ليفربول.»

«هل سيسير الامر معك على ما يرام من دونه؟»

اجاب الأب بلهجة جافة:«آه، نعم، يا عزيزتي. ان جوشا يأتي للعشاء هذه الليلة.» ولمعت عيناه من خلف نظارته.

أضافت والدتها:«لقد دعا نفسه بنفسه، يا عزيزتي... فهو يريد ان يودعك.»

امسكت اوجيني نفسها عن التلفظ بكلمات كانت ستذهل والديها لو سمعاها منها، ثم قالت:«لكنه سبق وودعني من قبل، أليس ممكناً ان احتج بإصابتي بصداع؟»

«ولكنك لم تصابي بصداع قط في حياتك، يا عزيزتي، ربما جعله ذلك يأتي مرة اخرى غداً ليطمئن عليك.»

«إذن يمكنني ان اذهب باكراً الى فراشي لأنني متعبة...»

وصل الاستاذ جوشا واطس مبكراً، وبقي الى ساعة متأخرة. رأت ان والدها متعباً، فقد بقيت ساهر معه بطبيعة الحال، مستمعة بأدب الى ما عقد العزم عليه بالنسبة الى المدرسة التي سيذهب إليها، وكيف سيديرها وماذا ينوي ان يقوم به... لقد خطط لكل شيء، ولم تملك هي إلا الإعجاب بحماسه هذا، رغم ان اعجابها ذاك قد تبدد نوعاً ما حين نظر إليها قائلاً:«انه يأمل في زوجة تفهم طبيعة عمله وتعاونه.»

قالت بمرح:«انني واثقة من انك ستجد المرأة التي توافقك.»

زاد مرحها حين خرج اخيراً وهو يتمتم قائلاً:«يا ليتك تغيرين رأيك يا اوجيني.»

كان اليوم الذي بقي لها يوماً سعيداً، حيث طافت ارجاء الحديقة، ثم دارت على اصدقائها في القرية مودعة، وتمشت مع الكلب تايغر وهي تخاطبه قائلة إذ تستند الى جذع شجرة ناظرة الى ما حولها:«سأشتاق الى كل هذا.» كانت تحاول ان تطبع ما تراه في ذاكرتها رغم انها كانت تعرفها غيابيا.

كان مات، الذي يعمل في مخازن القرية، سيذهب معها الى لندن ليعود بسيارتها، فجلس بجانبها حين تركت البيت في صباح اليوم التالي، ولولا وجوده لبكت حين الوداع.

وهكذا لوّحت بيدها بمرح لوالديها اللذين كانا يقفان عند الباب، ثم انطلقت بالسيارة الى الطريق العام الذي يقود الى اكزيتر.

عرفت مات طوال حياتها، فقد كان حارس المدرسة، ويملك سيارة أجرة لتأجيرها لمن يشاء، كما انه يدير المخازن، فيبيع كل شيء تقريبا. قال لها:«ان والدك بحاجة الى العناية، حيث انه عاد فاستلم العمل. اننا سنعتني به تماما، يا اوجيني، وبأمك ايضا.»

«أعلم أنك ستقومون بذلك، يا مات، وإلا لما رضيت بالسفر، ولا تنسى ان تتصل بي هاتفيا إذا ما... إذا حدث أي شيء. ان رقم هاتفي مع اوراق السيارة. عند ذلك سآتي حالا.»

www.alkottob.com

«هل سيسمحون لك بذلك؟ انك ستعملين عند ذلك الطبيب، أليس كذلك؟ يبدو انه رجل حسن.»
«انه كذلك، هذا الى أنه مدين لي... تذكر هذا، فقد عثرت عليه عندما كان تائها في الضباب...» وضحك الاثنان.
قال:«ان الضباب شيء كريه، فالمرء لا يستطيع فيه ان يجد طريقه.»
ودعته في مطار هيثرو قائلة بأسى:«سأرسل إليك بطاقة.» ثم دخلت المطار.
لم تكن الرحلة مريحة. تناولت الوجبة الخفيفة التي قدمت لها حيث كانت جائعة تماما، ثم قرأت مجلة في يدها، وتفحصت محتويات حقيبة يدها، ونظرت من النافذة الى أسفل رغم انه لم يكن هناك ما يرى، وهم فوق السحاب، كان النظر الى لا شيء يشعرها بالراحة، ولكنها انتبهت من ذلك الى المضيفة تقدم إليها قطع الحلوى. ثم ما لبثت ان سمعتهم يعلنون انهم اصبحوا على وشك الوصول.
بدت الأرض خضراء تحت السحاب، وقد انتشرت القرى هنا وهناك، ولم يكن يجلس على المقعد بجانبها احد، فسألت المضيفة:«هل المطار يبعد كثيرا عن غرونينجن؟»
«عشرة كيلومترات الى وسط المدينة، هل هناك من سيستقبلك؟»
«اظن ذلك.»
ابتسمت الفتاة وهي تبتعد، بينما عادت اوجيني تنظر من النافذة الى الأرض وهي تقترب منهم شيئاً فشيئاً، لم يكن في الإرشادات عندها ما يشير الى انه

سيستقبلها احد. فالمفروض ان يكون هناك باص او قطار يحملها الى داخل المدينة، ولا بد ان ريجنما تير ساليس يتوقع انها من الكفاءة بحيث تستطيع الوصول الى المستشفى بعد ذلك، ومن المحتمل انه كان كلف بكتابة تلك الإرشادات سكرتيرة او أي شخص آخر.
كانت آخر شخص ترك الطائرة، إذ لم يكن هناك من يستعجلها، وكان عليها ان تجد طريقها بنفسها. اخذت حقيبتها من قاعة الجمرك لتخرج بعد ذلك الى قاعة الاستقبال.
وضعت الحقيبة على الأرض، ثم اخذت تنظر حولها، كان هناك عدد من الناس. انما لم يكن المكان مزدحما مثل مطار هيثرو. ابتدأت تقرأ الارشادات المختلفة متحركة ببطء. وكانت اكملت دورة كاملة عندما انتبهت الى الطبيب ريجنما تير ساليس واقفا يشرف عليها وفي يده حقيبتها.
لم تجد ما تقوله سوى كلمة:«حسناً.»
ابتسم بطريقة بدت لها مترفعة، وقال:«اوجيني. اهلاً بك في غرونينجن.»
قالت ببرود:«لم أجد إشارة في ارشاداتك تقول انه سيستقبلني احد.»
اجاب هازئاً:«جعلتها مفاجأة لك.» ورغم سرورها برؤيته، إلا انها عبست إذ ظنت انه يضحك منها.
«انها مفاجأة فعلا. هل سأذهب الى المستشفى مباشرة؟»
ثم احمر وجهها إذ انتبهت الى ان كلامها هذا يعني انها تتوقع منه ان يأخذها معه الى مكان آخر... ان فنجان شاي في مقهى هو شيء لطيف.

www.alkottob.com

اجاب:«نعم. ان السيارة في الخارج. هل نذهب؟»
تبعته الى المدخل حيث رأت سيارته البتلي واقفة، وعندما وصلا إليها رأت أوجيني ان فيها شخصا ما، امرأة جالسة في المقعد الأمامي.
فتح الطبيب ريجنما باب السيارة لها مشيراً إليها بالجلوس في المقعد الخلفي وهو يقول:«سافيرا، دعيني اقدم إليك اوجيني سبنسر.» ونظر الى اوجيني قائلا:«خطيبتي...»
استدار يضع حقيبتها في صندوق السيارة بينما قالت سافيرا بأدب:«مرحبا. هل كانت رحلتك جيدة؟»
كانت ابتسامتها باهتة، إنما عيناها الزرقاوان أخذتا تتفحصانها بنظرة شاملة. كانت حسنة الشكل متناسقة التقاطيع ذات شعر اشقر بالغ القصر، وفي بداية الثلاثينات من العمر كما رأت اوجيني شاعرة بالنفور منها، ولكنها ابتسمت لها تجيبها:«كانت جيدة جدا. شكرا.»
عاد الطبيب ريجنما تير ساليس الى مقعده، ثم اومأ برأسه الى شيء قالته له سافير بصوت خافت، وما لبث ان نظر من فوق كتفه ليسأل اوجيني عما إذا كانت مرتاحة، قبل ان يتحرك بالسيارة مبتعداً عن المطار.
اخذت اوجيني تنظر من النافذة محاولة ان تظهر على وجهها إمارات الاستمتاع بينما كانت افكارها تغلي في داخلها، لماذا احضر خطيبته لاستقبالها؟ وذكرها صوت داخلي بأنه مقدم على الزواج ولا يهتم بأوجيني بصفتها امرأة، وإنما فقط بصفتها ممرضة عمليات، ولم تشك في ان هذا كان استجابة لطلب سافيرا نفسها. اتراه ندم

لعرضه هذا العمل، عليها؟ وأسوأ من ذلك، ما إذا كان لديه فكرة عن شعورها نحوه، وشعرت بحرارتها ترتفع لهذه الفكرة... وتمنت فجأة لو انها لم تحضر، ولكن ما دامت هنا الآن فستتصرف بأفضل شكل يمكنها. لن تدع له مجالا للشكوى من عملها، وستنتبه على الدوام الى ان تبدو أمامه عملية تماما.
قال لها وهم يصلون الى ضواحي المدينة:«سأوصلك الى المستشفى مباشرة، وستكونين مسرورة إذ تستقرين.»
شكرته بصوت رزين بينما قالت سافيرا بصوتها العالي الحاد النبرات:«هل ستعود معي، يا إيديريك؟»
كانت لغتها الانكليزية قريبة من الإتقان، وتملك اوجيني الحنق، ولكنها، على الأقل، تذكرت اسمه الأول، وسرها هذا.
بدت لها المدينة جميلة وهم يخترقون شوارعها.
قال لها:«ان من السهل ان تجدي طريقك هنا، فإن كل الشوارع تتفرع من الساحة المركزية كما ان المستشفى قريب منها.»
وصلوا الى بناء جميل قديم الطراز كما رأته اوجيني وهي تنظر إليه من نافذة السيارة، وخرج الطبيب ريجنما تير ساليس ثم استدار يحضر حقيبتها من الصندوق، فيناولها الى حمال هناك ثم يساعدها على النزول.
قالت سافيرا بصوت بان فيه الضجر:«الى اللقاء. ارجو ان يسرك العمل هنا.»
شكرتها اوجيني بنفس الصوت الرزين ما جعله ينظر إليها رافعا حاجبه قليلا إنما لم يقل شيئا بل قادها من خلال المدخل الى ان سلمها الى رئيس الحراس الذي

www.alkottob.com

رفع سماعة الهاتف وأخذ يتحدث. ليقف بعد ذلك مائلاً على المكتب.

قالت أوجيني وهي تمد يدها الى الطبيب:«اشكرك لاستقبالي في المطار.»

تمتم يقول:«هذا أقل ما يتوجب عليّ عمله. سأقدمك الى المديرة...»

ووصلت تلك السيدة بعد لحظات، وكانت امرأة طويلة القامة خالط شعرها الأشقر بياض، زرقاء العينين. كانت ملامحها صارمة. ولكنها ابتسمت لأوجيني مرحبة بها، ثم تحولت الى الطبيب ريجنما تير ساليس، قائلة:«شكرا لاستقبالك الآنسة سبنسر. ان المسافر الى بلد غريب، يرحب برؤية وجه مألوف لديه في استقباله.» وتصافحا. ثم قال بلطف:«سأراك غدا يا اوجيني. وأنا واثق من ان المديرة ستخبرك عن كل ما تريدين معرفته.»

وتحول مبتعدا بينما تحولت المرأتان، يتبعهما الحمال بالحقيبة، حيث اجتازتا الردهة سائرتين في ممر طويل الى حيث المكتب.

«ستذهبين الى غرفتك حيث تتناولين فنجاناً من الشاي او القهوة، انما سأعطيك اولا اوراقا تحوي معلومات تعطيك فكرة عن المستشفى ونظامه، ثم تأتين لرؤيتي صباحاً عند الساعة العاشرة، يا آنسة سبنسر، فإذا كانت لديك أي اسئلة، سأجيبك عليها حينذاك.»

اخذت اوجيني الاوراق ثم عادت أدراجها والحمال في اعقابها الى حيث كان صف من المصاعد آخر القاعة، وفي الطابق الرابع تبعت الحمال الذي قادها خلال باب ذي مصراعين الى قاعة صغيرة حيث يوجد سلم الى

جانب منها، وحيث خرج لاستقبالها من باب هناك، امرأة مستديرة الوجه يحيط به شعر أبيض قائلة:«انني الممرضة كورسما. مرحبا بك يا آنسة سبنسر. سنذهب الى غرفتك، وسأرسل اليك الشاي. فالانكليز يحبون الشاي، أليس كذلك؟»

كانت معنويات اوجيني قد انخفضت نوعاً ما بسبب نوع استقبال الدكتور ريجنما تير ساليس لها، والترحيب البارد الذي تلقته من المديرة. ولكنه عاد فانتعش الآن لبشاشة هذه المرأة وترحيبها الحار بها. وصعد الثلاثة السلم ليجتازوا ممرا طويلا قامت على جانبيه الأبواب، الى حيث وقفت المرأة امام آخر باب هناك ففتحته وهي تشير الى اوجيني بالدخول. ووضع الحمال الحقيبة على الأرض ثم خرج.

كانت الغرفة صغيرة انما جميلة حسنة التأثيث، ذات نافذة تشرف على جزء واسع من الفناء الأخضر، وخلف ذلك كل ما افترضت انه خلفية المستشفى.

اخذت الممرضة كورسما تمهد غطاء السرير وتزيح ستائر النافذة، ثم قالت ببشاشة:«انها غرفة حسنة، أليس كذلك؟ هناك حمام في الناحية المقابلة من الممر ومطبخ في الطرف الآخر منه حيث يمكنك صنع شاي او قهوة او بعض الشطائر إذا كنت جائعة. سأتركك الآن، وسيأتيك الشاي حالا وعندما تصبحين مستعدة، انزلي الى مكتبي.»

خرجت بينما عادت اوجيني تنظر من النافذة، كان المستشفى كبيرا وقائما في وسط المدينة حسب رؤيتها له. ولكنها ستتأكد من ذلك فيما بعد. اما الآن فعليها ان

www.alkottob.com

تنظم امتعتها وتقرأ الاوراق التي اعطيت لها ثم تذهب لرؤية المرضة كورسما...

كانت قد انهت اخراج امتعتها من الحقيبة تقريباً عندما اتتها فتاة صغيرة بالشاي، فشربته اوجيني وهي واقفة امام النافذة تنظر منها الى الخارج، لتنزل بعد ذلك الى مكتب المرضة كورسما ومن هناك الى المخازن حيث جهزوا لها ملابس التمريض، وبعد ذلك جالوا بها انحاء المستشفى حيث قدموها الى عدد من المرضات اللواتي نسيت اسمائهن على الفور.

تناولت عشاءها وهي في حال ذهول. لم يكن الأمر سيئاً. عندما كان يتحدث إليها احد بالإنكليزية، انما اللغو الضاحك الدائر في ما بدا لها كلاماً فارغاً، جعلها تتساءل عما إذا كانت اقدمت على خطوة اوسع مما تستطيعها. أوت الى فراشها اخيراً مقتنعة بأنها لن تتمكن من النوم، ولكنها سرعان ما استغرقت في النوم حالما اغمضت عينيها.

في الصباح، كان كل شيء طبعاً، على أحسن حال. جلست بين فتاتين تجيدان الانكليزية حيث استمعت الى نصائحهن اثناء تناولهن طعام الإفطار، وعندما ذهبت لاستلام العمل، شعرت على الفور وكأنها في غرفة العمليات في وطنها رغم انهم كانوا يتحدثون الهولندية عندما لم يكونوا يتحدثون إليها. وبما ان الطبيب ريجنما تير ساليس سيجري عملياته بعد الظهر، فقد امضت الصباح ملازمة المرضة المسؤولة، ولم تكن قائمة العمليات طويلة، وقد طمأنها ما رأته من تقبل الجراحين، الذين قدمت إليهم، لها تقبلاً حسناً. فوقفت مع الجراح

في آخر عملية، وكانت عملية استئصال الزائدة، فقط لتقوم بشيء ما... ولولا مسألة اللغة لظنت نفسها في مستشفاها في بلدها.

كانت العملية التي سيجريها ريجنما تير ساليس مسجلة الساعة الثانية بعد الظهر، وفي الموعد المحدد تماماً، دخل هذا غرفة العمليات، فأشار برأسه محيياً اوجيني وكأنه تعود رؤيتها هناك منذ سنوات، ثم سألها بأدب عما إذاكانت مستعدة، ومن ثم ابتدأ العمل. كان هناك عدداً من الاشخاص الذين كانت اوجيني اجتمعت بهم طوال فترة الصباح، ولكنها الآن لم تستطع التمييز بينهم وهم يرتدون أثواب العمليات الفضفاضة. لم تكن تميز سوى الطبيب ريجنما تير ساليس الذي كان يقف بجانبها منحنياً على المريض، يسألها من وقت لآخر، ان تناوله هذه الآلة او تلك، ويتمتم بشيء لمساعديه احياناً باللغة الانكليزية لكي لا تشعر بنفسها بعيدة عما يجري...

حالما انتهت العملية ونقل المريض الى غرفة العناية الفائقة، ترك الرجال غرفة العمليات بينما ابتدأت تعيد تنظيمها مع اثنتين من الممرضات. كان وقت تناول الشاي قد مر منذ فترة طويلة. ويبدو ان العادة السارة في مستشفيات بلادها، وهي ان يدخل الجراحون والممرضات المكتب بعد انهاء العملية، حيث يتناولون الشاب وبعض البسكويت، يبدو ان تلك العادة غير معروفة هنا. لا بد ان يكون هناك مقهى قرب المستشفى...

عندما وصلت الى غرفتها، استبدلت ثيابها بثوب من الجيرسيه فوقه سترة واقية من المطر، وحذاء خفيفا لإراحة قدميها التي كانت تؤلمانها، ثم علقت حقيبتها في

www.alkottob.com

كتفها. لم يكن الجو يبدو لها سيئاً من نافذتها، فقد كانت السماء زرقاء باهتة والشمس تتوارى بسرعة خلف ابنية المدينة العالية، فأخرجت شالا من احد الادراج ووضعته في جيبها. فقد قرأت في إحدى الكتيبات السياحية ان المطر غزير في هذه البلاد.

هبطت السلالم لتجد المسكن يعمه الهدوء، فقد كان الجميع إما في العمل وإما في الخارج، ولكنها ما ان وصلت الى باب المرضة كورسما حتى فتح وخرج منه الطبيب ريجنما تير ساليس.

سألها:«هل استقر بك المقام؟ لم يكن ثمة شعور بالعصبية في غرفة العمليات هذا الصباح او بعد الظهر.»

اجابت:«ارجو ألا يكون ذلك قد حدث.» كانت قد فوجئت برؤيته. وكانت مفاجأة سارة، لكنها تذكرت انها اخذت قراراً بالإلتزام بالجدية المهنية والتحفظ في تعاملها معه، وهكذا اضافت:«ان قسم العمليات ممتاز، يا سيدي.»

كان يقف أمامها يكاد يسد الممر. سألها:«هل تناولت الشاي؟»

اجابت:«انني متفرغة الآن، وسأتناول الشاي في مكان ما في المدينة.»

«انني اعرف مكاناً لهذا.» وما ان فتحت فمها لتتكلم، حتى اطلت المرضة كورسما من الباب قائلة:«هل انت ذاهبة لتناول الشاي مع الطبيب ريجنما تير ساليس؟ انها فكرة جيدة. فأنت وحيدة كما اظن، وليس معك احد.»

قالت اوجيني بشيء من الحدة:«كلا، كلا. انني ذاهبة للتعرف على الانحاء قبل العشاء.»

قال الطبيب ريجنما تير ساليس:«الشاي اولاً.» وأمسك بذراعها وهو يدلي الى المرضة كورسما بملاحظة لم تستطع اوجيني فهمها.

قالت وهي تسرع مجتازة القاعة لتخرج من الباب:«لا اريد ان...»

«آه، ها انك تتصرفين بحماقة. لقد سبق وانقذتني في دارتمور، وأنا الآن انقذك في غرونينجن.» وابتعد عن المستشفى وهو يتابع قائلاً:«هناك مكان غير بعيد يقدمون فيه شايا ممتازا، وأنا اقابل هناك سافيرا احيانا.»

«لقد تأخر الوقت بالنسبة الى الشاي...»

لم يجب. وبعد لحظات كان يدفع الباب الزجاجي ثم يجلسها عند مائدة صغيرة قرب النافذة، ويجلس امامها. كان يبدو على الزبائن حولهم انهم يتناولون العشاء، ولكن النادل احضر لهما الشاي دون اعتراض على كل حال، الى طبق مليء بالشطائر وطبق آخر بالكيك.

نسيت اوجيني قرارها الذي كانت اعتمدته، فابتسمت له قائلة:«هذا مكان جميل.. ألا تمانع سافيرا في جلوسنا هذا معاً؟»

«تمانع! ولماذا تمانع، في الواقع انها هي التي اقترحت ذلك.»

www.alkottob.com

الفصل الرابع

استحالت قطعة الحلوى اللذيذة التي كانت اوجيني قد رفعتها لتوها الى فمها، استحالت الى مثل الرماد. إذن فهي لا تعدو ان تكون موضعا لرعايتهما ليس إلا... والأسوأ من ذلك هو ان هذه الرعاية لم يفكر فيها الطبيب ريجنما تير ساليس بنفسه. وتجلت الكراهية التي كان اوجيني شعرت بها من سافيرا نحوها عند تعارفهما، تجلت الآن بشكل اقوى، كما انها بدت بالغة المهارة وهي تظهر مبلغ سيطرتها عليه... فكأنها بتصرفها هذا، ارادت ان تخبر اوجيني بأن ترفع يدها عنه. ربما أي امرأة اقل نضجا وقوة من اوجيني كانت ستستجيب لتلك الإشارة، ولكن اوجيني إذا احست بهذا التحدي، سارعت الى قبوله على الفور.

قالت بصوت طبيعي رقيق وابتسامة صادقة:«كم هي لطيفة حسنة التفكير. ان خطيبتك رائعة الجمال، أليس كذلك؟ دوما كنت اتمنى لو كان شعري اشقر، مثلها...»

كان من الطبيعي لدى كلامها هذا، ان ينظر الى شعرها البني الكثيف الرائع، وهذا ما هدفت إليه بقولها ذاك.

عادت تقول باهتمام مهذب:«هل ستتزوجان في وقت قريب؟ انني متلهفة لرؤية عرس هولندي.»

اجاب وهو يسكب في فنجانه المزيد من الشاي:«ليس ثمة موعد محدد. وأنا واثق من انه ستسنح لك فرصة لذلك اثناء وجودك هنا.»

اخذ يحدثها عن المدينة قائلاً:«انني آسف لعدم تفرغي لكي أريك انحاء المدينة. هل هنالك مكان تريدين رؤيته بشكل خاص؟»

«لقد فات الوقت بالنسبة للمتحف والآثار، لكن الممرضة كورسما اخبرتني ان المتاجر تتأخر في اغلاق ابوابها. فكرت في ان بإمكاني إلقاء نظرة عليها قبل ان اعود. وبعض زميلاتي اقترحن ان نتعشى في الخارج بعد الفراغ من العمل. ليس لدي سوى وقت قليل للتنزه في هذه الانحاء.»

نطقت بهذه الكذبة البيضاء دون ان يرف لها رمش كانت تريده ان يعتقد انها ليست بحاجة الى اهتمام احد بالترفيه عنها. وكذبة بيضاء أو اثنتان لا ينتج عنهما أي ضرر. تابعت قولها:«شكرا للشاي. كان لطفا منك ان تمنحني شيئا من وقتك.» نظرت الى الخارج من النافذة وقالت:«تلك هي الساحة هناك، أليس كذلك؟ الى اليسار. هل لديك مانع إذا انا خرجت الآن قبل ان تقفل المتاجر؟»

نادى النادل على الفور ليحضر له قائمة الحساب، وهو يوافقها، مسرورا، على انه ما زال هنالك وقت للتنزه وهو ينظر إليها بابتسامة سرعان ما كبحها. ورافقها في عبور الشارع، ثم تأكد من انها تسير في الاتجاه الصحيح، قبل ان يعود الى المستشفى وقد غرق في تفكير عميق.

امضت اوجيني بعض الوقت تشاهد واجهات المتاجر وقد تكدر مزاجها، الى ان دفعها التفكير في العشاء الى التفتيش عن مكان تتناول فيه الطعام، وكان هناك

www.alkottob.com

عدة مطاعم ومقاه. فاختارت واحداً منها كان يبدو شبه فارغ، ولكنها اخذت تتفحص قائمة الطعام في الخارج لتتأكد من انها تحمل معها المبلغ المطلوب. كان مطعما يخدم فيه الزبون نفسه بنفسه. اخذت صينيتها ووقفت في الصف. كان هناك كميات كثيرة من مختلف انواع الاطعمة فاختارت ما تمكنت من معرفة نوعه بسهولة مع فنجان قهوة حملتها جميعا إلى مائدة صغيرة في زاوية المطعم. كان الطعام ممتازا. انهت عشاءها وتناولت قهوتها، ثم نهضت تبغي الخروج، ولكن رجلا طويل القامة كان جالسا قريباً منها، سألها:«انك انكليزية، أليس كذلك؟»

اجابت:«نعم.» ثم سارت تتجاوزه فوجدته خلفها. عندما وصلت الى الرصيف، تقدم منها قائلا:«لا تقلقي، لن الحق بك أي اذى، ولكنك اكثر جمالا من ان تبقي وحدك. سأحضر لك سيارة أجرة او ربما نستقل الباص.»

استدارت تنظر إليه، قائلة:«انك غاية في اللطف، انما لا ضرورة لذلك. فأنا اشتغل في المستشفى وهو لا يبعد اكثر من عشر دقائق سيرا على الاقدام.»

«إذن فسأسير معك. هل انت ممرضة؟»

«نعم، وهذا غير ضروري في الحقيقة...»

«انني سآتي على كل حال. ليس عليك ان تتحدثي إلي. إن ليس اخوات.»

«ألا يخرجن بمفردهن؟»

«بالطبع، ولكنهن لسن اجنبيات مثلك.» ولم يضف شيئا آخر. إنما عند مدخل المستشفى تمنى لها، بكل ادب، ليلة سعيدة وهو ينصحها بألا تخرج وحدها

قبل ان تعرف جيداً مسالك المدينة، وصافحها مودعاً. قالت له:«انني شاكرة لك جداً هذا.»

مر بهما الطبيب ريجنما تير ساليس، في هذه الاثناء في سيارته، فرفع حاجبيه وهو يكظم شعوراً قوياً بالإنزعاج. ولكن اوجيني لم تره وهي تحيي الرجل للمرة الأخيرة ثم تدخل المستشفى.

تقابلا في الصباح التالي، في غرفة العمليات، وكان على الطبيب ريجنما تير ساليس ان يجري عملية في صمامات القلب. جاء في الوقت المحدد، ألقى عليها تحية الصباح وباشر عمله بهدوء. كان هناك عدد من الاشخاص. كان جهاز القلب والرئتين بحاجة الى مهارة في توجيهه. ولكن اوجيني التي كانت مركزة اهتمامها على منضدة الادوات الجراحية، بقيت هادئة. كانت العملية ناجحة، ونقل المريض بعيداً وأعيد تنظيف وتنظيم غرفة العمليات.

وقف الطبيب ريجنما امام اوجيني وهي تخلع ثوب العمليات الفضفاض، وخاطبها قائلا ببرود:«هل لي بكلمة معك، من فضلك؟»

تبعته الى المكتب وهي تتساءل عما إذا كانت اخطأت بشيء. فحسب علمها، كل شيء كان كما ينبغي ان يكون. فهي لم تجعله ينتظر لحظة واحدة، وكانت تناوله الادوات التي يريد استعمالها، بكل عناية.

فتح الباب، فدخلت وجلست عند المكتب. كانت الغرفة صغيرة، فوقف مستندا الى الجدار ويداه في جيبه. قال متهكما:«انك لم تضيعي وقتك مساء أمس لأنك سرعان ما وجدت مرافقا. أهو شخص تعرفينه؟»

www.alkottob.com

«أنني لم أرهُ من قبل في حياتي. لماذا تسأل يا سيدي؟»

«لأنني مندهش بأن تسمحي لنفسك بأن يلتقطك أي شخص بهذه السهولة، يا اوجيني؟»

استقامت في جلستها، تكبح غضباً عنيفاً استولى عليها، ثم قالت:«هذه ملاحظة منك لا تغتفر، يا سيدي، وكذلك غير صحيحة. فليس من عادتي التقاط الرجال.»

«كلا، كلا بالطبع، كان تعبيري عما اريد قوله سيئاً جداً. انك امرأة رائعة الجمال يا أوجيني. وأنا واثق من انك في أمان تام في قريتك دارتمور، ولكنك الآن في بلاد اجنبية لا تعرفين لغتها، كما انك، وأسمحي لي بأن اقول هذا، بريئة.»

قالت بجفاء:«هذا هراء كلياً. انني في الخامسة والعشرين من عمري. وحتى ولو كنت قروية المولد والنشأة إلا أنني عشت سنوات في لندن. ان بإمكاني العناية بنفسي. فإذا كنت تظنني بتلك الصفة، لا ادري لماذا عرضت عليّ هذه الوظيفة.»

قال بهدوء:«انك فتاة راشدة وممرضة وممرضة عمليات ممتازة، ولكن سافيرا كانت محقة تماما عندما اوصتني بأن احذرك...»

فتحت اوجيني فمها وأغلقته ثانية تكبح كلمات ازدحمت في فكرها. ولكنها ما لبثت ان قالت:«اتوسل إليك ان تخبر فتاتك ان تهتم بشؤونها الخاصة. انني واثقة من ان قصدها حسن وتريد ان تساعدني... فهي، كما اظن، اكبر مني بسنوات كثيرة وربما تعرف عن كيفية التقاط الرجال للمرأة اكثر مما اعرف.»

لم يتحرك الطبيب ريجنما ولكنها دفعت كرسيها الى الجدار خلفها، ولو كان في امكانها اختراق الجدار هذا لتهرب منه، لفعلت. ذلك ان الغضب الهائل الذي ظهر في وجهه ارسل في نفسها قشعريرة باردة. لقد تمادت تماما، كانت تعلم تماماً ذلك، ولكنه هو الذي استفزها ففقدت اعصابها. وحملت نفسها على النظر إليه قائلة:«أليس من الافضل ان تذهب قبل انت تضربني؟»

جلست بعد خروجه فترة طويلة. لقد اساءت الأدب بشكل فظيع... لقد اهانت خطيبته سافيرا، وهو لن يسامحها ابداً. وربما سيعيدها الى انكلترا.

دخلت زميلتها الممرضة الهولندية لاستلام العمل منها إذ كانت متفرغة بعد الظهر، وكانت قد تأخرت كثيراً عن وجبة الغداء. فسلمت المفاتيح، ثم سارت الى المستشفى.

كانت غرف العمليات مفصولة عن اقسام المستشفى بممر طويل قام في اوله مصاعد وفي آخره سلم. فسارت نحو السلم ثم اخذت تهبطه، وإذا بها تقابل، وجها لوجه، الطبيب ريجنما تير ساليس.

قال لها:«احضري معطفك وقابليني عند الباب.» وقد ظهر عليه السرور.

تفرست في وجهه، فقابل نظراتها بهدوء، ولم يكن ثمة فائدة من عدم استجابتها لطلبه، فهو سيطردها، وكلما كان ذلك اسرع، كان افضل.

قالت بهدوء:«هذا حسن جداً.» ومرت بجانبه متوجهة الى غرفتها حيث استبدلت ثيابها، وارتدت تنورة وكنزة وسترة واقية للمطر، وذلك بظرف خمس دقائق وبعد

www.alkottob.com

ذلك بدقيقتين كانت عند مدخل المستشفى، حيث وجدته بانتظارها.

قال:«سنتمشى إلى حدائق بريزينتهوف، إذ أننا، بحاجة الى التحدث معا.»

لم يكن الطريق طويلاً، ولم ينطق احدهما بكلمة الى ان اصبحا داخل الحدائق، فقال:«علينا ان نجد مقعدا نجلس عليه.»

كانت المناظر حولهما رائعة الجمال، لقد صممت على زيارة هذا المكان الذي كان انشيء منذ مئتين وخمسين عاما، والذي يبعث السرور للناظر. فكرت وهي تبتسم باكتئاب، في ان هذا المكان، ما دامت ستطرد من عملها، لم يعد يختلف عن غيره.

كانت هناك مقاعد قد اخفيت بمهارة في الاسيجة المحيطة بالحدائق لمن يريد الانفراد، ولكن عندما اقترب من واحد منها، اسرعت تقول:«انني افضل السير إذا لم يكن لديك مانع». وكانت تهدف من وراء ذلك ألا تضطر للنظر إليه.

كان هناك اشخاص قلائل. وفي منتصف الممر، وقف ليقول:«انني مدين لك باعتذار. لم يكن لدي الحق في ان اوجه إليك مثل ذلك الكلام. يجب ان تصدقي ذلك، لقد فقدت اعصابي.»

نظرت إليه بشكل مباشر وقالت:«لقد قلت انا عن خطيبتك سافيرا شيئا فظيعا، لم أكن اعني منها كلمة، وأنا آسفة لذلك. لقد فقدت اعصابي انا ايضا.» ومدت يدها قائلة:«هل لنا ان نصفح وننسى؟ اننا منسجمان معا في غرفة العمليات، أليس كذلك؟ ولا أدري لماذا

لا نستطيع ان نكون مهذبين نحو بعضنا البعض حين نجتمع.»

استطاعت، على نحو ما، ان توحي بانطباع بأنها، مع كونها مستعدة لاعتبار ما فات قد فات، فهي غير مهتمة بما حدث، ويبدو إنها نجحت في ذلك.

امسك بيدها قائلا:«ان هذا سبيل مقبول نخرج فيه من متاعبنا.» وابتسم فجأة وهو يضيف:«ايمكننا ان نبدد ما نشعر به من غل بشيء من القهوة والشطائر؟ لقد فات وقت الغداء ووقت الشاي لم يحن بعد.»

«سيكون هذا حسنا، فالحديقة رائعة...»

اخذا يسيران بينما كان يحدثها عن تاريخ هذه الحديقة الى ان وصلا الى مقهى صغير في شارع جانبي حيث تناولا قهوة، وشطائر تناولتها اوجيني بشهية فائقة ولم تمانع حين طلب إبريق قهوة آخر. وأخيرا، نظر في ساعته قائلا:«ان لدي بعض المرضى عليّ ان اراهم الساعة الثالثة... سأسير معك عائدا الى المستشفى وأحضر سيارتي من هناك.»

عادا سائرين بنشاط وقد عادا صديقين مرة اخرى بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ولكن تحت صداقتها الهادئة هذه، كانت اوجيني تكتم في اعماقها كراهية قوية نحو سافيرا. من حسن الحظ انه كان من غير المحتمل ان تراها مرة اخرى.

افترقا في المستشفى، وكان يساور اوجيني شيء من الزهد في زميل العمل ذاك الذي لا يريد ان يوسع مدى صداقته. كان في قائمة العمليات عملية للطبيب ريجنما. بعد ظهر اليوم التالي، وهكذا كانت اوجيني متفرغة

www.alkottob.com

من العمل عند الصباح توطئة للوقوف معه عند إجراء العملية، وحياها هو حين دخوله بكل أدب، وتبادل بعض الملاحظات مع الحاضرين ومن ثم ابتدأ العمل. كانت على وشك الخروج بعد انتهاء عملها، عندما عاد الطبيب ريجنما ليخاطبها بقوله:«من الافضل ان تأخذي عطلة نهار الغد. ذلك اننا سنسافر الى جزيرة ماديرا في البرتغال، بعد غد لإجراء عملية تقويم خلل في البطين لقنصل هولندا هناك. جهزي لي كل ادواتي ومعداتي لأراها. من فضلك، وسأعود هذا المساء. خذي معك ملابس كافية لعشرة أيام، ولو انني آمل ان نتمكن من العودة بعد اسبوع. فلتكن الثياب صيفية، هذا الى ملابس التمريض طبعا.»

سألته بهدوء:«هل تعلم الممرضة المسؤولة بذلك؟»

«نعم. اريدك عند الباب الساعة السابعة صباح بعد غد.» احنى رأسه باختصار وخرج. بينما قالت اوجيني للغرفة الفارغة:«كنت دوما اتمنى زيارة الى جزيرة ماديرا.» وأخذت تحضر الادوات وتصفها لكي يتمكن من رؤيتها بنظرة واحدة، ويرى ان كان ينقصها شيء. في الوقت الذي انتهت فيه، كانت الممرضة الليلية قد وصلت حيث استلمت منها المفاتيح.

عندما حدثتها اوجيني عن سفرها الوشيك، قالت لها:«ستكونين بحاجة الى بعض الاثواب القطنية.»

دخلت اوجيني غرفتها وراحت تضع قوائم بما عليها شراؤه، وتحسب ما لديها من نقود، وهي تفكر في انها قد حصلت اخيرا على يوم إجازة لكي ترى ما ينقص خزانتها من ملابس.

استيقظت باكراً ثم خرجت الى المتاجر حالما فتحت أبوابها، حيث اشترت تنورة قطنية زرقاء اللون وعدة قمصان قطنية فضفاضة وثوبين قطنيين، وبلوز مخططة وثوبا نقش بالزهور بكمين قصيرين، وقميصا قطنيا آخر بلونين بني وكريم ثم حذاء خفيفا، لتعود بعد ذلك الى غرفتها في المستشفى لحزم امتعتها. وكنت تمر بجانب المقهى الذي كان الطبيب قد اخذها إليه لتناول الشاي، عندما رأت سافيرا جالسة الى مائدة برفقة امرأة أخرى، فألقت نظرة على أوجيني لوحت لها بعدها في حركة عفوية قبل ان تحوّل اهتمامها بعد ذلك الى مرافقتها، ولم تبادلها أوجيني التلويح هذا بل ابتسمت لها ببرود وحيرة وكأنها غير واثقة من شخصية سافيرا تابعت طريقها شاعرة بالسرور وهي تفكر فيان سافيرا لا ثم بد أنها الآن منزعجة لأن اوجيني لم تعرفها على الفور.

كانت في هذا على صواب. فقد اتصلت سافيرا بالطبيب ريجنما في ذلك المساء حيث أنه كان اخبرها بعدم استطاعته الخروج معها لتناول العشاء بسبب انشغاله الشديد. وذلك لتقول له:«لقد رأيت اليوم تلك الفتاة التي احضرتها من لندن لتشتغل عندك... لقد لوحت لها بيدي ولكنها ابتسمت وكأنها لم تتذكر من أكون...»

«ربما لم تتذكرك. وبعد فأنتما لم تريا بعضكما إلا لحظات قليلة في السيارة.» وكان نصف مستمع الى ما تقوله وذلك لانشغاله بتقليب اوراق المرضى التي بين يديه.

سألته:«لماذا لا نخرج الى العشاء هذه الليلة؟ اعرف انك

www.alkottob.com

سبق وقلت انك سبق وقلت انك مشغول، ولكن لا بد ان يكون لديك وقت لتأكل. انني اشعر بالضجر.»
«اه، نعم، كنت على وشك ان اتصل بك. انني مسافر الى جزيرة ماديرا في البرتغال غدا في الصباح الباكر، وسأبقى هناك لمدة اسبوع على الاقل.»
«هل ستأخذ تلك الفتاة معك؟»
«ان اوجيني ممرضة في غرفة عملياتي، يا سافيرا، وهذا سبب وجودها هنا، ومن الطبيعي ان تكون بصحبتي.»
قالت سافيرا بحدة:«مع كل ذلك الشعر؟ كما انها ستصبح سمينة بعد سنة او اثنتين.»
قال ببرودة:«ان هذا لا يؤثر على مهارتها في غرفة العمليات. ها انك تفكرين بشكل صبياني يا سافيرا.»
ألقت بسماعة الهاتف من يدها بعنف بينما عاد هو الى عمله.
استيقظت اوجيني باكراً، فارتدت ثيابها وجهزت نفسها. صنعت لنفسها الشاي والخبز المحمص، ثم نزلت حاملةً حقيبتها الى المدخل حيث وجدت الطبيب ريجنما واقفاً في انتظارها حيته برزانة ثم صعدت الى السيارة
كان قد نظر إليها بطريقة غريبة... متفحصة... أتراه يريد ان يتأكد مما إذا كانت ملابسها لائقة؟ ولم تشأ ان تلقي عليه اسئلة. ولكنه ارضى فضولها على الفور حين قال:«ان الطائرة ستطير بنا الى سيفول حيث نأخذ طائرة اخرى من هناك.» لم يتكلم مرة اخرى الى ان وصلا الى المطار حيث استقلا طائرة انتقلا منها الى اخرى في سيفول، ولم تكن هناك أي اجراءات جمركية ولا ازدحام كما رأت اوجيني. وعندما اصبحا في

الطائرة، سألته:«هل تسافر بهذا الشكل على الدوام؟»
اجاب:«كلاً، فهذه الطائرة استأجرتها الحكومة، فهي للطوارىء.» وفتح حقيبته وهو يضيف:«لقد احضرت لك كتيب إرشادات عن ماديرا فيما لو لم تسبق لك معرفتها.»
اخذتها منه شاكرة، فالرحلة ستستغرق عدة ساعات. ذلك ان ماديرا تبعد عن هولندا ألفا وخمسماية مترا. وفتحت الكتيب وأخذت تقرأ، شاعرة بالسرور إذ تجد شيئاً تفعله حيث ان الطبيب ريجنما كان مستغرقا في قراءة مجموعة من الأوراق بين يديه.
قدمت لهما القوة والبسكويت على الفور، وجعلها منظر السحب تهوم في مكانها، لتنتبه الى تربيت خفيف على كتفها.
كان الطبيب ريجنما يبتسم لها قائلاً:«لقد اقتربنا من الهبوط، وسترين فانتشال حال اختراقنا لهذه السحب.»
بعد ذلك بلحظة، رأت الجزيرة اسفل، كانت المدينة محشورة بين رأسين بحريين، وكانت المنازل ما تزال تبدو بعيدة أسفل، متصاعدة على جوانب الجبال خلف المدينة. وأثناء مشاهدتها على كل ذلك، كانت السحب قد ابتعدت لتتألق الشمس على البيوت البيضاء وعلى مياه البحر. فسحرها هذا المنظر.
استقبلهما في المطار شاب رزين المظهر يقود سيارة فخمة، رحب بقدومها الى الجزيرة، ثم بعد كلمة اعتذار، تحول يتحدث بالهولندية الى الطبيب ريجنما الذي صعد الى السيارة بجانبه بعد ان اجلسها في المقعد الخلفي، وهذا ما جعلها تنظر حولها اثناء دخول السيارة الى

www.alkottob.com

المدينة متجهاً الى قلبها، ولكن قبيل وصولهم مروا بحديقة عامة ومقهى مواجهين البحر، ليتحول الشاب بالسيارة الى ناحية مماثلة في الجمال، ليتوقف عند ذلك امام المستشفى.

خرج الطبيب ريجنما من السيارة، ثم فتح لها الباب وهو يقول:«انني ذاهب لإلقاء نظرة على مريضنا... وكذلك انت بالطبع، وربما يمكنك اثناء وجودي معه، ان تقومي بإلقاء نظرة سريعة على غرفة العمليات. ان اقامتنا ستكون في القنصلية، وأنا ارى ان نعود الى هنا بعد الغداء حيث تشرفين بنفسك على غرفة العمليات. ان ممرضات المستشفى ودودات ومتعاونات.» ونظر إليها وهو يتابع:«هل تشعرين بالارهاق؟»

اجابت:«ليس كثيراً.» وكانت تتوق الى كوب شاي ومكان ترفع فيه قدميها.

دخلا المستشفى مع الشاب حيث رافقتها امرأة مسنة سوداء الشعر والعينين الى غرفة العمليات التي كانت اصغر حجماً من التي في مستشفى غرونينجن، لكنها حسنة التجهيز. كان جهاز القلب والرئتين هناك. كذلك تعرفت الى الموظف التقني المختص، وسرها معرفته الجيدة باللغة الانكليزية. ان كل من تعرفت إليهن من الممرضات كن يتكلمن الانكليزية، ما جعل كل مخاوفها من متاعب عدم فهم اللغة، تتلاشى. وهكذا امضت فترة قصيرة فترة قصيرة حاولت فيها ان تألف المكان. كانت تتفحص الأدوات الجراحية عندما حضر الطبيب رينجمنا، سألها:«هل انت راضية؟ حسناً تعالي وتعرفي الى مريضنا.»

لم يكن الرجل الذي كان في السرير قد وصل الى منتصف العمر بعد. ورغم مظاهر المرض عليه، كان وسيماً، او هذا ما سيكون عليه عندما يستعيد صحته. ورغم حالته ابتسم لأوجيني وهمس شيئاً وهو يأخذ يدها بيده وهو يقول شيئاً بالهولندية ناظراً الى الطبيب ريجنما ما جعل هذا يضحك ويجيب باختصار.

عندما خرجا الى السيارة، سألته اوجيني:«ما الذي قاله؟»

اجاب بصوت جاف:«قال انك رائعة الجمال.» وجعلتها النظرة التي رمقها بها تحمر خجلاً. فقال:«لم أكن اظن ان هناك نساء ما زال يعتريهن هذا.»

«يعتريهن ماذا؟»

«الخجل.»

لم تنظر إليه، وصعدت السيارة وبقيت تنظر من النافذة طوال الطريق الى القنصلية.

رحب بهما نائب القنصل، ثم قدمها إلى زوجة القنصل التي كانت طويلة القامة ممتلئة نوعاً ما، ذات عينين زرقاوين براقتين وابتسامة ساحرة.

كانت معرفتها باللغة الانكليزية فوق المتوسط، لا بأس بها، وقد رحبت بها بحرارة قائلة وهي ترافقها صاعدة معها السلم:«انني شديدة القلق، ان زوجي مريض جداً ولكنك تعرفين هذا طبعاً، وتعزيتي هي في وجود ايديريك لأن شفاء زوجي سيكون على يديه.» وتوقفت في منتصف السلم وهي تتابع:«ما اصعب ان يمرض شخص تحبينه.»

اخذت اوجيني تتمتم بكلمات الترفيه، فقد كانت السيدة

www.alkottob.com

فان تيغ امرأة يألفها المرء بسرعة. كانت غرفتها جميلة، ونافذتها تطل على حديقة واسعة من خلفها البحر.
قالت المرآة:«لقد وضعتك في الخلف من المنزل، يا آنسة سبنسر، فهي اكثر هدوءً...»
«اشكرك. انما هل لك ان تدعيني بإسمي اوجيني، كما يفعل الجميع؟»
«انه إسم جميل، كما انك فتاة رائعة الجمال، ولا بد انك ماهرة جداً في عملك وإلا لما قبل ايديريك ان تعملي عنده ابداً.»
كان جواب اوجيني ان ابتسمت بينما تركتها مضيفتها بعد ان اخبرتها بأن الغداء بانتظارها حالما تنزل الى الطابق الأسفل، كانت حقيبتها قد سبق ووضعت في غرفتها، إنما لم يكن ثمة وقت لتغيير ملابسها. فأصلحت شعرها وزينتها، وعادت الى الطابق الأسفل حيث وجدت الطبيب ريجنما واقفاً مع السيدة فان تيغ عند الباب الذي يقود الى الحديقة.
تناولوا الغداء في الحديقة ليعودا بعده مباشرة الى المستشفى. كانت العملية ستجري في الصباح الباكر، في الساعة السابعة والنصف، ولهذا اخذت تعد كل شيء حسب استطاعتها. بعدها عادت الى غرفة الانتظار في الطابق الأرضي بعد ان طافت بها انحاء المستشفى ممرضة ودود، وكانت تتوقع ان يكون الطبيب ريجنما ما زال هناك.
كان هناك فعلاً، فقد كان وصل لتوه بصحبة طبيب البنج وجراحين. حدقوا فيها بإعجاب سافر، ثم قال اصغرهم سناً:«عندما تفرغين من العمل، يا آنسة سبنسر، سيكون

من دواعي سروري ان أريك بعض معالم ماديرا.»
قالت بحماس اكثر مما تحس به:«سأكون في غاية السرور.»
لكن الطبيب ريجنما اخذ يحدق فيها بعنف وعلى شفتيه ابتسامة تهكم.
فكرت في ان ليس ثمة أمل في ان يريها هو أي شيء لا يتعلق بعملية الغد.
عادا الى القنصلية على الفور ثم تناولا فنجاناً من الشاي قبل ان تصعد الى غرفتها لتستحم وتغير ملابسها لترتدي ثوباً قطنياً، فقد كان عليها ان تكون في المستشفى عند الساعة السادسة والنصف كما اخبروها اثناء العشاء، وهكذا صعدت الى غرفتها حالما انهوا تناول القهوة.

* * *

كان الصباح رائع الجمال وهما يتجهان الى المستشفى خلال الشوارع الضيقة. كانا قد تناولا الإفطار بسرعة دون إضاعة وقت، وعدا عن تبادل بعض الملاحظات عن عمل هذا الصباح، لم يكن لدى الطبيب ريجنما الكثير ليقوله، وعند وصولهما الى المستشفى، انفصلت عنه متوجهة رأساً الى غرفة العمليات لكي تطمئن على أدواته وتتفحص المعدات والنور ووضع المناضد والعربات والأجهزة، وعندما اطمأنت الى كل هذا، تحدثت قليلاً الى الممرضات الثلاث اللواتي سيساعدنها، ثم توجهت لارتداء ملابس التعقيم.
كانت تحدق في المناضد. وقد بدا عليها الهدوء البالغ، عندما ادخل المريض وتبعه الطبيب ريجنما مع مساعديه.

www.alkottob.com

بعد ذلك، لم يعد للوقت قيمة. ليقف في النهاية، بنفس الهدوء الذي كان عليه عندما قام بأول شرط في جلد المريض. كانت مرت لحظة بعد الانتهاء من العملية حين قرر الصاق الخلل بلاصق بلاستيكي حين لم تستطع الخياطة أن تمسكه، ولكن الأمر مر بنجاح. تبادل عدة كلمات مع طبيب البنج، وكرر شكره لأوجيني ثم غادر غرفة العمليات.

كان هناك الكثير للعمل بالنسبة الى إعادة تنظيم غرفة العمليات، ولكن الممرضات الأخريات اخذتها الى غرفة صغيرة بعيدة عن غرفة العمليات لتناول القهوة، حيث اخذن جميعاً يتحدثن في وقت واحد عن مدى نجاح العملية.

لم تشأ متابعة الحديث عن ذلك، فسألتهن عما يستحق ان تتفرج عليه اثناء وجودها في جزيرة ما ديرا.

رغم احتجاجهن، عادت الى غرفة العمليات لتساعدهن في إعادة تنظيمها. لقد كان هناك تنظيف وتعقيم ادوات الطبيب ريجنما، وهكذا انهت كل شيء وأعادت حفظها جاهزة لعملية تالية. وقد استغرق كل هذا وقتاً. ومع ان بقية الممرضات ذهبن لتناول غداء متأخر، إلا انها شاءت ان تبقى وتنجز مهمتها نهائياً. احضرت الحقيبة التي كانت تحتوي على الادوات الجراحية فأعادتها في احسن تنظيم، ثم اغلقتها وأقفلتها، لتقف بعد ذلك لحظة وقد استبد بها فجأة التعب والجوع.

كان الطبيب ريجينا داخلا غرفة العمليات بهدوء عندما رآها، فوقف ينظر إليها، كانت مديرة ظهرها إليه وما زالت بلباس العمليات الاخضر وقد انزاح غطاء رأسها

الى الخلف فبدا شعرها غير المنظم، ما جعل منظرها بعيداً عن الجمال.

«إذا كنت قد انتهيت، فسنخرج معاً لتناول الطعام. انني اتضور جوعاً وأظنك ايضاً كذلك.»

استدارت حالما سمعته«آه، مرحباً. حسناً، اظن من المفترض ان اتناول الغداء هنا. شكراً على كل حال.»

وجذبت غطاء الرأس فأسدل شعرها تابعت:«هل سيشفى المريض؟»

اجاب:«يمكنني ان اقول نعم، إنما الوقت ما زال باكراً على التأكد من ذلك. والآن، اتركي كل هذا وتعالي معي.»

وابتسم فجأة. «لقد كان عملك ممتازاً، يا اوجيني، فشكراً لك. سأنتظرك عند الباب.»

ارتدت تنورتها وقميصاً قطنياً، ووضعت قدميها في حذاء خفيف، وكومت شعرها على قمة رأسها، ثم نزلت متجهة الى مدخل المستشفى. وكان هو هناك يتحدث الى الجراحين الذين ساعداه في العملية، فوقفوا جميعاً يتبادلون الحديث عدة دقائق قبل ان يقول:«سأعود بعد ساعتين.» ثم امسك بذراعها وخرجا الى الشارع.

كان الجو حاراً والشوارع هادئة. فقال لها:«انني اعرف اين يمكننا ان نجد طعاما جيداً.» وابتعد بها عن الشوارع الرئيسية، والبحر، ثم استدار داخلاً الى شارع ضيق يحتوي على متاجر صغيرة ومقاهي. فوقف امام واحد منها مشيراً إليها بالدخول من باب مفتوح. كانت إنارة المكان في الداخل خفيفة بينما توزعت في أرجائه بعض الموائد والكراسي نصفها كان مشغولاً. اجلسها بينما تقدم منها النادل على الفور. فبادره

www.alkottob.com

الطبيب ريجتما بقوله:«نريد شيئاً بارداً نشربه.» ثم سأل اوجيني:«هل تريدين ان تجربي ماراكوجا؟ انه عصير فاكهة ممزوج بماء الورد.» وعندما اومأت بالايجاب، تحول يتحدث إلى النادل. فسألته:«هل تتحدث البرتغالي؟»
أجاب:«كلمات قليلة فقط استطيع بها ان اطلب الطعام وأسأل عن الطريق.»
نظرت الى قائمة الطعام وهي تتساءل عن معنى هذا كله، لو كانت وحدها لما تجرأت ابدا على ان تأكل شيئا...
قال هو دون اهتمام وكأنه قرأ افكارها:«ان لدى المطاعم والمقاهي الكبيرة قوائم باللغة الانكليزية، والندل يتحدثون بعض الانكليزية، حيث وحدك لن تشعري بالضيق.»
تساءلت عما إذا كانت تلك إشارة رقيقة منه الى ان لا تنتظر مرافقته لها على الدوام.
قال:«هل نطلب روستو وسمك وسلطة؟»
كان الطعام لذيذا، وتناولا الطعام ببطء وهما يتحدثان عن عملية الصباح. وخطر ببال أوجيني ان هذاالحديث لو سمعته سافيرا لما شعرت إزاءه بالغيرة.
اختلست النظر إليه وهما يتناولان الطعام. اندفعت تقول فجأة:«اظن ان خطيبتك سافيرا كانت ستحب الحضور معك.»
نظر إليها ببرود قائلاً:«انني لا اخلط بين العمل والحياة الشخصية.» كان صوته بمثل برود نظراته.
عادت الى القنصلية مشيا على الاقدام بعد ان افترقا عند المستشفى... لا بد إذن انه يعتبر هذا بمثابة غداء عمل...
امضت معظم عصر ذلك اليوم مع السيدة فان تيغ حيث

اخذت تطمئنها قدر امكانها:«انني واثقة من ان بإمكانك رؤية زوجك قريبا جدا، ولكنه بحاجة الى الراحة مدة طويلة، فلا تبدي التأثر أمامه. إنه في خيمة الأوكسجين وهناك جهاز تخطيط القلب، هذا كله يبدو مخيفا لمن يراه، ولكن كل هذا سيرفع في أقرب وقت ممكن. وهناك ممرضات ماهرات تماما حوله.»
عندما تصاعد رنين الهاتف، استمعت السيدة إليه لحظة، ثم ناولته الى أوجيني قائلة:«انه لك، ارجو ألا يكون هناك خبر سيء؟»
«اريدك هنا، أوجيني، وذلك لهذا المساء وربما الليل ايضا. ان كل شيء هو سائر بشكل حسن. ولكن الممرضة المسؤولة يجب ان تنال وقتا للراحة. احضري معك زوجة المريض السيدة فان تيغ، إذ يمكنها ان تزوره لمدة خمس دقائق.»
وضعت اوجيني السماعة وهي تقول لها:«يمكنك القيام بالزيارة الآن. انني سأذهب معك لأجلس في مكان الممرضة المسؤولة.»
قالت السيدة:«سأستدعي السيارة.» ثم قرعت الجرس بينما اسرعت اوجيني الى غرفتها لتبدل ملابسها. وبعد ذلك بعشر دقائق، كانتا في طريقهما الى المستشفى.»
قابلهما الطبيب ريجنما بقوله:«ان حالة زوجك تتقدم بشكل رائع، فلا تقلقي لمنظره الذي سترينه عليه. يمكنك ان تمكثي بجانبه خمس دقائق فقط. انه غير واع تماما، ولكنه سيعلم انك موجودة عنده.»
كان يتكلم بمنتهى اللطف والرقة، ولكنه عندما استدار الى أوجيني، كان صوته جادا باردا:«شكرا لقدومك،

www.alkottob.com

يا اوجيني: سأراجع وإياك ملف المريض قبل ان اذهب، وستكون معك ممرضة ولكنها ليست ذات خبرة.»
كان قسم العناية الفائقة صغير المساحة، ولكنه جيد التجهيز، وراجعت اوجيني اوراق المريض مع الممرضتين اللتين انتهى عملهما لهذا اليوم، كما ابلغت زوجة المريض بوجوب الخروج من الغرفة. اخذت تستمع باهتمام الى تعليمات الطبيب ريجنما تير ساليس.
سألها: «هل ستكونين على ما يرام حتى الساعة السادسة والنصف من صباح الغد؟» وعندما اومأت بالإيجاب قال: «سأحضر فيما بعد، ولا تترددي في الاتصال بي إذا احتجتني بشيء. ان الطبيب بورج هو المسؤول الليلي، وسيتردد على المكان طوال الوقت.»
ربما لم تكن الممرضة التي ستمكث الليل معها، ذات خبرة، ولكنها كانت سريعة الإدراك والإداء وتتكلم الانكليزية بطلاقة، وهكذا امضتا معا ليلة حافلة كان يؤخذ فيها النبض كل نصف ساعة وكذلك التنفس والضغط وتخطيط القلب. فكانتا تسيران ذهابا وإيابا بصمت، في الثوب الأبيض الفضفاض، غير مباليات بمرور الوقت وقد حضر الطبيب بورج عدة مرات.
قبل ان تحين الساعة الثانية صباحا، حضر الطبيب ريجنما، حيث ابدى رضاه عن الحالة، ثم غادر المكان مرة اخرى. ثم حضر مرة اخرى في الساعة السادسة وبدا عليه وكأنه امضى الليل نائما بكل راحة متناولا بعده فطورا دسما، على عكس اوجيني التي كانت بغاية التعب وتتضور جوعا، ذلك ان تناولها اكواب القهوة بسرعة، وقضم بعض الشطائر اثناء الليل، لم يكن ليرضيها.

حيته متذمرة ولكنها ما لبثت ان استعادت الجد في صوتها وهي تتلو عليه تفاصيل تقدم المريض بكل دقة.
قال: «هذا حسن. والآن أذهبي وتناولي طعاما وخذي قسطا من الراحة. ان كل شيء جاهز لأجلك في القنصلية. سأمضي النهار هنا، إنما كوني هنا الساعة العاشرة ليلا، من فضلك.» وربت على كتفها بيده الضخمة قائلا: «انك يدي اليمنى، يومان آخران نستطيع بعدها ان نرتاح.»
كانت من الإرهاق بحيث ان كل ما كانت تريده، هو ان تضع رأسها على كتفه وتبكي. قالت باختصار: «حسنا جدا يا سيدي.»

www.alkottob.com

الفصل الخامس

كانت اوجيني قد استعادت قواها تماماً بعد ان انتهت من تناول ذلك الإفطار الدسم الذي قدم لها، واغتسلت ثم ذهبت الى فراشها. لقد كان التعب هو الذي جعلها تشعر بمثل تلك الكآبة، لكنها الآن، وهي مستلقية، تتذكر ما سبق وقاله لها الطبيب ريجنما وهو انها يده اليمنى. لم يكن هذا وصفاً شاعريا، لكنه انعش ثقتها بنفسها التي كانت على شفا الانهيار ربما سيصبح الآن أقل تعالياً...

نامت حتى بداية المساء، ثم نهضت واغتسلت، ثم هبطت الى الطابق الاسفل حيث وجدت السيدة فان تيغ في غرفة الجلوس.

قالت لها السيدة على الفور:«فنجان شاي اولاً، ثم الجلوس قليلاً في الحديقة للهواء النقي قبل أن تتناولي عشاءك. ان السيارة ستأخذك الى المستشفى وهكذا لديك الوقت الكافي للقيام بكل هذا.»

«انك بالغة اللطف يا سيدتي. هل قمت هذا النهار بزيارة السيد فان تيغ؟»

«نعم. وحالته في تحسن. لقد بقي ايديريك معه طوال النهار، وقال لي انه سيجتاز مرحلة الخطر بعد يوم واحد.» اغرورقت عيناها الزرقاوان بالدموع وهي تقول:«لشد ما انا سعيدة...» ومسحت عينيها وهي تتابع:«تفضلي الشاي وبعد ذلك نخرج الى الحديقة. لقد اخبرني ايديريك ان عليك ان تستنشقي هواء نقياً، وانك

قوية ولكن عليك ان تستمري كذلك لعدة ايام اخرى.»

لم تستطع مهما بلغ منها الخيال، ان تسمي ذلك مديحاً، وبقيت صامتة. وبعد ان انهت فنجانها الثاني وصل بها التفكير الى انه من الواضح ان الطبيب ريجنما يرى ان كونها فتاة كبيرة الجسم وعاقلة، فهو يتوقع منها ان تعلم طوال الساعات. ولم تنتبه الى واقع انه هو ايضاً يعمل طوال الساعات، وحيث انها تملك المهارات المطلوبة في غرفة العناية الفائقة كما في غرفة العمليات، فالمنتظر منه ان يستغل ذلك فيها.

كانت الحديقة واسعة تموج بألوان مختلف انواع الزهور، وهكذا سارتا في انحائها فترة عادا بعدها الى داخل المنزل لتتناول العشاء الذي كان بانتظارهما.

استمتعت اوجيني بحساء الطماطم الذي تختص به جزيرة ماديرا، كما تناولت اللحم البقري المشوي. كان المساء دافئاً فتناولتا القهوة على الشرفة تتمتعان بالأمسية قبل ان تستقل سيارة القنصلية متوجهة الى المستشفى. ارتدت ملابس التمريض، وفوقه الثوب الفضفاض، ثم اتجهت الى الردهة الملحقة بحجرة المريض. كان الطبيب ريجنما جالساً الى منضدة يكتب عليها عندما دخلت، فهب واقفاً يحييها بمودة وهو يسألها عما إذا كانت قد نامت جيداً.

أجابت:«آه، نعم. اكلت كالحصان.» وألقت عليه نظرة في ضوء المصباح فرأت التعب في عينيه. تابعت:«لا بد ان اليوم كان شاقاً...»

«كل شيء يدعو للرضا، سأخرجه من خيمة الاوكسجين غداً إذا استمرت الأمور حسنة، اريد كل الملاحظات

www.alkottob.com

المعتادة من فضلك. انني سأنام هنا مرة اخرى، وسيكون الطبيب دي كاستلو تحت الطلب. والآن سنلقي معا نظرة على المريض...»

رأت التحسن على المريض بشكل واضح. كان ما يزال مرهقا ومريضا جدا، لكنه استطاع ان يغمز بعينيه لأوجيني قبل ان يعود الى النوم المتقطع، استمعت بعناية الى إرشادات الطبيب ريجنما. حيته بتحية المساء قبل ان يبدأ عملها الليلي، كان لديها هذه الليلة ممرضة مساعدة مختلفة، وكانت الفتاة وادعة صغيرة الجسم، ونشيطة، فكانت تقوم بكل الامور البسيطة العادية ما يدع مجالا لأوجيني لكي تركز اهتمامها على الواجبات الهامة من ملاحظة المريض كل نصف ساعة. لم تشعر بنفس التعب الذي شعرت به الليلة الماضية، وبالرغم من ذلك لم تترك المريض اكثر من عدة دقائق كل مرة، إلا ان الليل مر بسرعة، وقد جاء الطبيب دي كاستلو عدة مرات، وحوالي منتصف الليل جاء الطبيب ريجنما للاطمئنان على المريض لآخر مرة قبل ان يأوي الى فراشه. ليعود مرة اخرى في السادسة صباحا، مستعدا لقراءة تقرير الليل والاطلاع على اوراق الملاحظات.

قال:«انني اريدك هنا الليلة القادمة ايضا، يا اوجيني. وهذه آخر مرة إذااستمرت حالته في التحسن من دون خيمة الاوكسجين، وبعد ذلك يمكنك ان تقومي بعملك في أي وقت كان.» وابتسم لها:«اظن اننا بذلك، سيكون بإمكاننا العودة خلال اربعة او خمسة ايام.»

قالت:«نعم.» هو النموذج للتعامل المطلوب مع جراح استشاري.

استيقظت عصر ذلك اليوم مبكراً، ثم خرجت الى المدينة بعد ان تناولت الشاي، وكانت السيدة فان تيغ في المستشفى وقد تركت خبراً مفاده انها ستعود بعد ساعة او نحو ذلك. كان الحارس عند الباب قد اعارها خريطة للمدينة، وهكذا سارت بسرعة الى الشارع الرئيسي، ثم استدارت داخلة الى شارع عريض مشجر، مجتازة قصر الحاكم، ثم الى ناحية البحر، حيث رأت هناك عدد كبير من الناس. لم تكن تريد ان تمكث معهم، بإمكانها ان تأتي في يوم آخر حين يكون لديها الوقت لذلك. وصلت الى شارع افانيدو دي مار حيث سارت فيه فترة، كان الكورنيش ذا مناظر رائعة. وإذا اتاحت لها فرصة ثانية قبل ترك هذا البلد لأمكنها ان ترى اكثر من ذلك. فقد كان يمر من هناك كل ارقام الباصات وما عليها إلا ان تسأل....

عادت الى القنصلية لتجد السيدة فان تيغ قد عادت من المستشفى، لقد امضى زوجها يوما رائعا كما قالت لأوجيني. فقد ابعدو عنه خيمة الاوكسجين، كما انه تحدث معها. وهتفت:«عزيزك ايديريك. يا له من طبيب عظيم. كيف بإمكاننا ان نفيه حقه من الشكر.»

تمتمت اوجيني برقة متمنية لو انه حقا عزيزها اديديرك. سرعان ما كانت تصرفاته العملية نحوها، عندما ذهبت لاستلام العمل، تكذب مثل هذه الأمنية، كان مسرورا، كان ذلك واضحا عليه، ولكنه كان ايضا حذرا. استمعت الى ارشاداته صامتة، وعندما قال لها انه سينام في المستشفى، لم تزد على ان قالت:«حسنا جدا، ايها الطبيب.»

www.alkottob.com

اخبرها ان الطبيب دي كاستلو سيكون تحت الطلب مرة اخرى، وكذلك الممرضة التي كانت ساعدتها في اول ليلة.
كل شيء سار كما يجب، وسلمت اوجيني العمل عند الصباح لممرضة قادمة من لشبونة، ثم سلمت تقريرها الى الطبيب ريجنما ومن ثم ذهبت لتناول الإفطار والنوم.
كان قد رافقها في السير حتى مدخل المستشفى، متحدثا عن العلاج اللاحق لمريضه، عندما انضم اليهما الطبيب بورج.
ارادت ان تتركهما، لكن سألها الطبيب بورج، ان كانت تقبل تناول العشاء معه هذا المساء، قائلا:«ان بإمكاني ان اريك شيئاً في فانتشال فإذا لم تكوني متعبة جداً، فستكونين في العمل غداً نهاراً.»
قال الطبيب ريجنما بهدوء:«اعتقد ان اوجيني ستأتي للعمل غداً بعد الظهر لكي تطلق سراح الممرضة الجديدة.»
ابتسمت للطبيب بورج:«إذن، في هذه الحالة سيسرني جداً ان ثمة اشياء كثيرة يجب ان أراها.» ووعدته ان تكون جاهزة في السابعة مساء، ثم ألقت التحية على الرجلين لتتوجه الى القنصلية. وعلى مائدة الافطار، اخبرت السيدة فانٍ تيغ عن هذه الدعوة التي تلقتها.
«سيكون هذا امرا حسنا الآن. فأنت هنا لفترة قصيرة جدا. لقد اخبرني ايديريك بأنه يأمل في العودة الى هولندا بعد يومين، او ثلاثة على الاكثر. لهذا يجب ان تتعرفي على هذه الجزيرة قدر ما يمكنك قبل رحيلك.»
نامت أوجينا خلال النهار في الاوقات الحارة، وعندما

استيقظت، ارتدت ثيابها وزينت وجهها وسرحت شعرها بشكل جميل، ثم نزلت لتكون في انتظار الطبيب بورج، لكنها وجدته يتحدث الى السيدة تيغ، وسرعان ما خرجا من دون إضاعة الوقت.
قال لها:«العشاء اولا.» وسار بها الى مطعم كارافيلا القريب من البحر. كان المطعم معروفاً ومزدحما، لكنه كان قد سبق وحجز مائدة قرب نافذة تشرف على منظر رائع للبحر والميناء.
اكتشفت انه مرافق مسلي ومعلوماته غنية عن الجزيرة، ويجيب عن كل اسئلتها بكل سعادة. كما كان الطعام لذيذا.
عندما فرغا من تناول الطعام كان الليل قد اقترب، وكانت المتاجر لا تزال مفتوحة والشوارع مضاءة. سارا في الشوارع الرئيسية وأشار الى أفخم المتاجر والمقاهي التي بإمكانها ان تذهب إليها بمفردها، ان شاءت.
فيما بعد، حدثت نفسها وهي تتهيأ للنوم، بأنها كانت ليلة ممتعة. لقد كان الطبيب بورج رجلا بالغ اللطف، لكنها تمنت لو كان ايديريك... يجب ان تتوقف عن التفكير به بصفته ايديريك.
كانت دهشتها كبيرة في الصباح التالي عندما حضر الشاب الجاد الذي استقبلهما في المطار الى القنصلية ليدعوها الى تناول الغداء معه.
قالت اوجيني وهي تكتم دهشتها:«حسناً، كان هذا سيسرني جداً، ولكنني سأبدأ العمل في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر.»
قال:«انها العاشرة والنصف الآن. انني سأريك المتحف

www.alkottob.com

ثم الحديقة العامة، ومن ثم نتناول القهوة في فندق ريدز. ولن ادعك تتأخرين عن موعد عملك.»
كانت متشوقة الى رؤية ما يمكنها رؤيته من الجزيرة اثناء وجودها فيها، فقالت:«في هذه الحالة، يسرني جدا ان اقبل دعوتك.»
«سنذهب سيراً على الاقدام لكي يكون في امكانك ان تشاهدي ما تستطيعين رؤيته.»
احضرت قبعة القش التي كانت اشترتها، ووضعتها على شعرها القاتم. بدت جميلة خفيفة في ثوبها القطني، ثم انطلقت معه لتشاهد المدينة. كان هناك الكثير مما يمكنها مشاهدته، ولكن مرافقها جان فان دال لم يكن ينوي ان يتركها تضيع الوقت في التسكع في سوق الأزهار، او صعود الشوارع الضيقة التي تتجه من المدينة الى التلال خلفها. وبدلاً من ذلك أخذها الى المتحف، والى قصر الحاكم.
نظر جان في ساعته قائلاً برزانة:«ان الوقت قد حان للعودة الى القنصلية.»
كانت بحاجة الى تناول الغداء قبل ان تذهب الى المستشفى. شكرته بكل رقة لقضائه الصباح معها، وعندما اقترح ان يقوما بزيارة الى المتحف الثالث.
قالت بلهجة غامضة ان ليس لديها فكرة عن اوقات فراغها من العمل، قائلة:«ان علينا ان نرحل قريبا جدا، الان.» وابتسمت له بمودة وهي تتابع:«كان لطفا منك ان تريني بعض معالم المدينة.»
لكنها شعرت بالحيرة عندما قال بوقار تام:«اعتبر ذلك واجباً عليّ.»

لم تر الطبيب ريجنما إلا للحظة قصيرة جداً في العمل، وفي اليوم التالي، عندما ذهبت الى العمل لم تره مطلقا إلا حين خرجت بعد انتهاء عملها بعد الظهر.
كان يتحدث الى الطبيب بورج، وأثناء مرورها بهما متمتمة مساء الخير، مد ذراعه يوقفها عن السير وهو يقول:«آه، انت من كنا نريد رؤيته. لقد انتهى عملنا هنا، يا اوجيني. وآمل ان نغادر بعد غد، فقد اصبح كل شيء على ما يرام. فاعتبري نفسك من دون عمل حتى ذلك الحين، وهذا سيعطيك فرصة تطوفين فيها على المتاجر.»
شكرته بصوت جاف، وقد ابتدأت تفكر في ما ستفعله، فلا بد لها من الطواف على المتاجر لشراء هدايا، ثم العودة الى المستشفى لتودع معارفها من الممرضات، وقبل كل شيء، عليها ان تستقل الباص لترى شيئاً من معالم الجزيرة.
تابع الطبيب ريجنما ببالغ الرقة:«إذا لم تكون متعبة، فسنترك القنصلية الساعة الثامنة، ثم نذهب للتجوال في انحاء الجزيرة لمشاهدتها، ونعود بعد ذلك الى فانتشال. هل سبق لك ان جلت في انحاء الجزيرة خارج العاصمة؟»
عندما هزت رأسها نفياً، قال:«انك ستستمتعين بذلك جدا، أليس كذلك يا بورج؟»
قال بورج:«هذا صحيح يا أوجيني، يا لها من فرصة تشاهدين فيها المناظر برفقة شخص يعرف انحاء الجزيرة، فالإنسان بمفرده تفوته اشياء كثيرة حتى ولو كان عنده كتيب للسواح.» وابتسم لها وهو يتابع:«ما

www.alkottob.com

احسن ان تكافيء على كل ذلك العمل الشاق الذي قمت به، لقد كنت رائعة.»
ربت الطبيب ريجنما على كتفها يذكرها:«الساعة الثامنة. لا تتأخري، يجب ألا نخسر لحظة من يوم راحتنا، أليس كذلك؟»
نطقت بجملتها المعتادة بصوت خافت:«حسناً جداً حضرة الطبيب.» رغم انها كانت تريد ان تفصح عن رأيها عن اولئك الاشخاص الذي يأخذون الأمر الذي يريدونه كأمر مسلم به دون ان يحملوا انفسهم عناء اكتشاف رأي الطرف الآخر. وتابعت طريقها وفي نفسها صراع بالسعادة لكونها ستمضي معه نهاراً كاملا، وانزعاج من اسلوبه الاستبدادي.
امضت عصر اليوم التالي بصحبة السيدة فان تيغ مستمعة الى الخطط السعيدة لتلك السيدة بالنسبة لنقاهة زوجها. بعد ذلك تناولت العشاء معها. لم يكن ثمة اثر للطبيب ريجنما تير ساليس.

* * *

كان الجو يبشر بيوم دافيء. ارتدت ثوباً قطنياً، وحملت قبعتها القش في يدها، كما علقت حقيبتها في كتفها بعد ان وضعت فيها كل ما تملكه من نقود. هبطت السلم، ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة.
كان بانتظارها متكئاً على سيارة قد استعارها من القنصلية. ألقى عليها تحية الصباح، وفتح لها الباب الأمامي ثم صعد بجانبها متحركاً بالسيارة.
قالت بصوت جاف:«اريد ان اعلم الى أين ذاهبان.»

«سنذهب اولاً الى حدائق دراسة علم النبات حيث سنشاهد منظر رائع للميناء والمدينة. اتحبين الحدائق؟»
«آه، نعم. وهي كلها مختلفة هنا.»
«بعد ذلك سنصعد الى التلال، حيث يقومون بصناعة القش والخيزران، هذا إذا كنت تحبين شراء حقيبة قش للتسوق.»
نسيت ما كانت قد صممت عليه من البقاء جافة:«نعم أحب، وكذلك أمي...»
بدت الحدائق رائعة الجمال، ملأى بالأزهار الغريبة والنباتات. تمنت لو تمضي فيها ساعات لولا ان الطبيب ريجنما اقترح متابعة الطريق، قائلا:«وبهذا يمكنك ان تشاهدي قدر ما يمكنك مشاهدته.»
كانت كاماشا على التلال،، وهي مكان صغير يعمل فيه السكان في صنع السلال والكراسي. اشترت اوجيني سلتين. كان تتمنى شراء كرسي من الخيزران لو كانت تملك وسيلة لحملها الى بلدها.
اجتاز بها التلال فوق العاصمة فانتشال حيث توقفا فترة لتناول القهوة في مونت، ثم تابعا طريقهما الى كامارا دي لوبوس حيث تناولا الغداء، سمك مشوي، وذلك في مطعم صغير يشرف على البحر. ليتابعا بعد ذلك طريقهما على طول طريق الساحل، متوقفين لتناول الشاي في ريبيريا برافا حيث طافا حول المتاجر فترة.
كانت اوجيني في غاية السعادة بصحبة ريجنما، فقد اثبت انه مرافق مثالي ليس فقط لأنه يعرف الجزيرة جيدا. فقد كان يجيب على كل اسئلتها بصبر وينتظر اثناء تفحصها محتويات المتاجر حيثما يصادف وقوفهما.

www.alkottob.com

كانت الدانتيلا رائعة الجمال، فاشترت غطاء مائدة لوالدتها ومناديل. كما اعجبت بالأواني، ولكن نقودها كانت قد ابتدأت بالنفاد ما جعلها تكتفي فقط بشراء صحن صغير. حمل لفائفها حيث وضعها في السيارة ليتابعا السير مرة اخرى وهو يحدثها عن الامكنة التي كانا يمران بها. كان دون شك، افضل مرافق من ذلك الشاب جان فان دال بمئة مرة. قررت انها ستسمح لنفسها ليوم واحد بأنها ستنسى انهما سيعودان الى علاقتهما المهنية المطلقة تلك بعد مدة قصيرة، وأنها ستنسى خطيبته سافيرا والمستقبل المجهول عند عودتها الى انكلترا، فهي ستستمتع بكل لحظة من وقتها الآن.

يبدو ان هذا كان شعوره هو ايضا، فقد سألها وهما في طريق العودة الى فانتشال:«اتريدين العودة الى القنصلية لتبديل ملابسك. ان بإمكاننا ان نتناول العشاء في احد الفنادق الكبرى ريدز او شيراتون، ام انك تفضلين ان نتناول العشاء في كامارا لوبوس. فهناك مطاعم ريفية جيدة وبإمكاننا ان نذهب إليها هكذا.»

اجابت:«نعم، من فضلك، فارتداء ملابس فخمة سيفسد علينا هذا اليوم.»

نظر إليها مبتسماً:«اننا متفقان في اشياء كثيرة، يا اوجيني، إذاً سنذهب لتناول الطعام في مقهى ريبامار، وسيكون الطعام بسيطا عبارة عن حساء الطماطم والبصل مرة اخرى، كما اظن. وبعض انواع السمك ومثلجات.»

«هذا جميل جداً. وأنا جائعة.»

كان المطعم صغيراً ومزدحماً، ولكنهما اعطيا مائدة

بجانب نافذة مفتوحة. احضر لهما حساء الطماطم والبصل وبعض انواع السمك التي كانت مطهوة بشكل لذيذ. كانت الخدمة بطيئة فجلسا حوالي الساعتين، وفيما بعد لم تستطع ان تتذكر ما كانا يتحدثان فيه اثناء ذلك. كان كل ما كانت تذكره هو انها كانت سعيدة راضية. عندما عادا الى السيارة كان الوقت متأخر. بدت السماء رائعة، وآلاف النجوم تتلألأ محيطة بالقمر الذي كان ضوءه يتألق فوق المياه. ومدينة فانتشال امامهما تتلألأ بالأنوار. عندما وصلا إليها، كانت نقيض الريف الهادىء، تموج بالناس.

سألها:«هل تريدين ان تشربي شيئاً؟»

اجابت:«كلا، كلا. شكراً لك. لقد كان يوماً رائعاً، وأشكرك لأنك اخذتني الى كل تلك الأماكن. لقد استمتعت بكل لحظة.» وتنهدت برقة:«انني لن انسى هذا اليوم ابدا.»

لم يجب، بل سار بالسيارة في الشوارع المزدحمة الى ان وصل الى القنصلية، وعند الباب، قالت له:«لا تخرج من السيارة، ان عليك ان تضع السيارة في الكاراج، أليس كذلك؟ اظنك ستخبرني في الصباح عن الوقت الذي عليّ ان اكون جاهزة فيه للسفر.»

لم يكن لكلامها ذاك ضرورة، لأنه كان سبق وفتح لها باب السيارة قبل إن تنهي كلامها، وهو يقول:«سأحضر لك حاجياتك حالا.» وسار معها الى الباب حيث كان البواب مهوماً من النعاس.

وقفت اوجيني مادةً يدها لتصافحه، قائلة:«تصبح على خير، لقد كان يوماً رائعاً حقاً... كل لحظة فيه كانت بالغة الجمال.»

www.alkottob.com

وقف الطبيب ساليس ينظر إليها لحظة، ثم قال:«لقد كان كذلك حقاً، يا اوجيني، كما انك انت رائعة الجمال كذلك.»

فتح باب الردهة، فانتبه البواب ونهض واقفاً ليرى الطبيب اوجيني عائداً الى السيارة دون ان ينظر خلفه.

ألقت اوجيني التحية على البواب، وصعدت الى غرفتها وهي تفكر في الطبيب ريجنما.

في اليوم التالي حياها على مائدة الإفطار كعادته تماماً عندما يحييها أثناء دورته في المستشفى، على مرضاه، ما لم تستطع معه الحديث عن يومها الجميل ذاك، بأكثر من تعليق بسيط وافقها عليه برزانة ثم خاض في حديث مهذب مع السيدة فان تيغ قبل ان ينهض، معتذراً بأنه سيذهب للقيام بالفحص النهائي لمريضه.

عندما غادر، قالت السيدة فان تيغ بكل ارتياح:«اظنك تحبين ان تودعي من تعرفت إليهم من موظفي المستشفى. اتريدين ان توصلك السيارة الى هناك؟»

اجابت اوجيني انها تفضل السير على قدميها، إذ انها تنوي، اثناء عودتها شراء بعض الاشياء. ذلك انهما سيرحلان بعد الغداء مباشرة، وعليها ان تكون على استعداد في الساعة الواحدة والنصف. كان امامها الصباح بطوله، فسارت الى المستشفى مودعة من كانت عرفته فيه بما فيهم مريضها. ثم اخذت تطوف الشوارع منفقة آخر ما بقي لديها من نقود حيث اشترت مجموعة من أزهار التنين الكبيرة الحجم والتي ستعيقها في نقلها بالطائرة. لكنها ستكون جميلة حين تضعها في غرفتها في غرونينجن. على الطبيب ريجنما ان يتكفل بتدبيرها.

تناولت قهوة في مطعم قرب البخر لتعود بعد ذلك الى القنصلية فتتناول غداء مبكراً مع الطبيب ريجنما الذي مبدياً مودة فاترة، ومع مضيفتها السيدة فان تيغ. وعندما رأى حزمة ازهار التنين وبقية صناديقها ولفائفها ازداد فتوراً. وضعها في السيارة، ثم انتظرها الى ان فرغت من توديع السيدة فان تيغ وسار نحو المطار.

كان جان فان دال بانتظارهما حيث قادهما من قاعة الاستقبال الى زاوية المطار حيث كانت تجثم فيها عدة طائرات صغيرة.

سألت:«هل سنذهب في احدى هذه الطائرات؟»

اجابها جان:«انها مختصة بمهمات حكومية، وهي اسرع كثيراً.» ونظر الى امتعتها الكثيرة. ثم تابع:«لا بأس، فهناك مكان لأزهارك وصناديقك.» وابتسم لها برزانة وهو يسألها:«هل تمكنت من الذهاب الى ذلك المتحف؟»

ابتسمت قائلة:«كلا، لم يكن لدي ما يكفي من الوقت. ولكن سيكون أول مكان أذهب إليه عندما احضر مرة اخرى.»

«هذا حسن، وسنذهب إليه معاً، انني اتطلع بشوق الى ذلك.»

كان الطبيب ريجنما واقفاً يستمع بصمت، ليقول معقباً:«يا لها من توقعات سارة بالنسبة إليكما انتما الاثنين، هل نحمل امتعتك يا اوجيني؟»

في الطائرة انشغل الطبيب ريجنما في رزمة اوراق، ولكن قبل ذلك، اعطاها مجموعة من المجلات والصحف، متوقفاً عن القراءة ليقدم لها القهوة.

www.alkottob.com

قرأت المجلات من الغلاف الى الغلاف، وبعد ذلك جلست تحدق من نافذة الطائرة الى البحر، إلى ان اصبحوا فوق البر، اخذت تحدق في ذلك ايضا، ولكن بما ان ليس لديها فكرة عن مكانهم، فقد افترضت ان هذا هو البحر الاطلسي.

قدمت إليها القهوة والشطائر، وسئلت ما إذا كانت مرتاحة، ثم تركت مرة اخرى لشأنها، وهكذا اخرجت قلما وأخذت تكتب على ظهر مفكرتها بعض الحسابات. لقد انفقت اكثر نقودها التي احضرتها معها، ولكنها ما زالت تحتفظ بمبلغ لا بأس به ادخرته للمستقبل، ذلك انها، عند عودتها الى انكلترا، ستذهب الى منزلها لعدة اسابيع، لتبحث عن وظيفة على ان لا تكون بعيدة عن اسرتها.

توقفت عن حساباتها لتفكر في المستقبل. لقد كانت تجاهلت ذلك اثناء وجودها في ماديرا، إنما عليها ان تواجهه الآن. ان عدم رؤيتها له مرة اخرى هو شيء عليها ان تواجهه. ولكن ليس الآن، فما زال هناك عدة اسابيع قبل ان تأتي ممرضته التي ستأخذ مكانها في العمليات، ومن الواضح انهما، وهما يعودان الى غرونينجن، سيستأنفان علاقتهما العملية، ويومهما الرائع في ماديرا لم يكن سوى حادث صغير في حياته، وقد نسيه الآن دون شك في غمرة توقعه اللقاء الوشيك بسافيرا.

كانا الطائرة الآن تحلق فوق هولندا، مسرعين نحو غرونينجن، عندما قال:«إذا لم تكوني متعبة للغاية غدا، فأنا احتاجك في العمل بعد الظهر، إذ هناك امرأة عصبية

تصر على ان تعاين كل شخص له علاقة بعمليتها قبل ان تجرى لها، وذلك في المستشفى الساعة الواحدة.»

عندما رأي نظرة الدهشة في عينيها، تابع:«انها شخصية مرموقة...»

«حسنا. الى أين يجب ان اذهب؟»

«الى عيادتي، وسأعطيك العنوان.»

سكت وقد بان عليه الشرود، وحدثت نفسها بأنه لا بد يفكر في سافيرا، ربما ستكون في استقباله في المطار.

هبطت بهما الطائرة، وكانت هناك سيارة في انتظارهما ورجل انيق الهندام حيا الطبيب ريجنما تير ساليس بإلفة وتهذيب، ولم تكن سافيرا هناك. انها طبعا ستكون بانتظاره في البيت...

صعدت اوجيني في السيارة بجانب الطبيب ريجنما حيث ساروا الى المستشفى، دون إضاعة وقت، حين نزل هو من السيارة، ثم ناول الحمال حقيبتها وأشياءها الاخرى وهو يذكرها بألا تتأخر عن الموعد غدا، ثم قاد السيارة بنفسه مبتعدا بها وبجانبه جاب حسب ما سمعت الاسم...

حدثت نفسها وهي في طريقها الى غرفتها، حسناً، هكذا الأمر إذن والآن، يجب ان انسى كل شيء عن ذلك.

حيتها الممرضة كروسما بسرور:«انا مسرورة لعودتك، وقد سمعت ان كل شيء هناك كان مرضيا تماما، هل استمتعت بزيارة ماديرا؟» ولم تنتظر الجواب وهي تتابع:«ان عليك ان تذهبي الى المدخل الأمامي حيث هناك سيارة ستأخذك الى عيادة الطبيب ريجنما تير

www.alkottob.com

ساليس. وعندما ينتهي الغرض من وجودك هناك، ستعود بك السيارة الى هنا، وعند عودتك ستبقين في العمل الى ان يبتدىء دوام ممرضات الليل.» حدقت في قائمة توزيع اوقات العمل الموضوعة على مكتبها وهي تتابع قائلة:«لا يوجد عمليات يومي السبت والأحد، إذن يمكنك ان تأخذي هذين اليومين عطلتك الاسبوعية... هنالك ثلاث عمليات في القلب. وفي اليوم التالي استبدال صمام القلب. كما ان هناك طفل ذو عيب خلقي في القلب. ولم يحدد ما إذا كنت ستجرى له عملية ومتى. والآن، اسرعي قبل ان تتأخري.»

ان هذا سيشغلها على الأقل... كان هذا ما كانت تفكر اوجيني به وهي تسرع نحو المدخل، وكان جاب هناك داخل سيارة روفر، فحياها بينما صعدت بجانبه وهي تسأله:«اظنك تتكلم الانكليزية.»

كان يتكلم الانكليزية فعلاً انما بلكنة ثقيلة.

سألته:«هل تشتغل عند الطبيب ريجنما تير ساليس؟»

اجاب:«اعمل عنده منذ سنوات، وزوجتي هي مدبرة منزله.»

تمنت اوجيني ان توجه إليه استلة اخرى لكنها لم تجرؤ.

في هذه الاثناء كان قد اوقف السيارة في شارع عريض تقوم على جانبيه منازل مرتفعة. ترجل من السيارة وساعدها على النزول الى الرصيف حيث اتجه بها الى باب كبير ذي مطرقة نحاسية ضخمة. اخرج مفتاحا فتح به الباب طالبا منها الصعود الى الطابق الأول ثم اغلق الباب خلفها.

كانت الردهة عالية السقف، ضيقة من جراء السلم الذي

يقوم في ناحية منها. صعدت ببطء وهي تنظر حولها، الى ان وصلت الى الطابق المنشود فوقفت تقرأ الاسماء المدونة على الأبواب الاربعة هناك. جميعهم من الاطباء وكان اسم الطبيب ريجنما تير ساليس على الباب الأخير، مسبوقا بلقب بروفيسور وفتحت الباب.

دخلت غرفة تنتشر في انحائها المقاعد ومنضدة صغيرة تحت نافذة عالية. وضعت عليها بعض المجلات. وخلف مكتب جلست امرأة صارمة الملامح قد عقدت شعرها الى الخلف ما اظهر وجهها الطويل، بدت ابتسامتها جميلة وهي تقول:«الممرضة سبنسر؟سأعطيه خبرا بوجودك.»

كانت انكليزيتها خالية من أي لكنة ما جعل اوجيني تشعر نحوها بالحسد،وهي التي كانت تتعلثم بنطق عدة كلمات هولندية استطاعت ان تتعلمها.

طلبت منها المرأة ان تدخل، مشيرة الى باب، فدخلت اوجيني.

كان الطبيب ريجنما تير ساليس جالساً خلف مكتبه يكتب، ولكنه نهض واقفا عند دخولها.

«اجلسي يا اوجيني... ان مريضتي ستكون هنا قريباً وعندما ننتهي من حديثنا اريدك ان تعودي معها الى المستشفى حيث ترينها غرفة العمليات. وستجدين طبيب البنج هناك، امكثي معها اثناء حديثها ثم رافقيها الى السيارة. ربما تظنين ان هذا امرا غير عادي، وهذا صحيح، ولكنها مريضة خاصة.»

لم تستطع التفكير في شيء تقوله، انما قال لها بعد لحظة:«انها امرأة ذات شهرة دولية فهي، بطبيعة الحال،

www.alkottob.com

تريد ان تخفي شخصيتها، فالمرض هو شيء لا يريد المشهورون ان يعترفوا به.»

«لماذا إذن تريد ان ترانا وترى غرفة العمليات؟ لماذا تريد مقابلتنا؟»

أجاب بشبْة ابتسامة:«لأنها خائفة جداً، فمقابلتنا والتحدث إلينا ربما يساعدها على ان تألف فكرة العملية.»

نهض ليسير الى النافذة ينظر منها ثم يسألها:«هل استمتعت بالأيام التي قضيناها في ماديرا؟»

اجابت:«كثيرا جدا.» وحاولت انت يبدو صوتها بارداً. ولكن احمرار وجهها افسد ذلك.

لم يبد عليه انه لاحظ هذا، وهو يقول:«كانت عملية ناجحة. وقد كان عملك حسنا جدا يا اوجيني. انك فتاة هادئة الاعصاب تماما.»

لم يكن ثمة فائدة من معارضته في رأيه هذا، وأنقذها دخول مريضته في هذه اللحظة، من متابعة هذا الحديث.

كانت الساعة التي مرت عليها بعد ذلك، بمثابة محنة قاسية، حدثت اوجيني نفسها، بعدها أنه إذا كانت الشهرة تجعل المرء بهذا الشكل، فمن الافضل لها إذن، ان تبقى كما هي. كانت المريضة فاتنة رائعة الجمال شديد القلق والخوف على نفسها، وأخذت اوجيني تنظر الى الطبيب ريجنما وهو يحاول ان يقنعها، ببالغ اللطف، بإجراء العملية والبقاء بعد ذلك فترة بعيدة عن الأنظار، فأعجبت بأسلوبه في ذلك وبصبره البالغ، كما ان طبيب البنج كان يحاول معها ذلك ايضاً وبكل ما

يملكه من لطف، ورقة. لتغادر المريضة المستشفى اخيراً وقد اقتنعت بأنها نموذج للشجاعة والتعقل، بعد ان ودعت الجميع بكياسة ملوكية.

قالت الممرضة كورسما بعد ذهابها:«اشعر بالسرور لقلة ما يأتينا من امثال هذه السيدة، انك ستتفقين مع الطبيب ريجنما في العملية يا اوجيني بطبيعة الحال.»

مر بقية الأسبوع بسهولة اما الطبيب ريجنما فلم يبد له أثر مطلقا، كما ان مساعديه لم يشيروا الى مكان وجوده.

هكذا اخذت اوجيني عطلتها الاسبوعية مساء الجمعة، شاعرة بالإحباط.

حاولت ألا تفكر في انه يمضي الوقت في مكان ما مستمتعا بصحبة سافيرا، ثم اخذت تفكر في ما يمكنها ان تفعله في عطلتها هذه. كانت قد قررت الذهاب يوم الأحد للقيام بجولة في المدينة على الأقدام، ثم تتناول غداء خفيفا في احد المقاهي الكثيرة هناك لتمضي فترة العصر في حدائق بريزينتهوف حيث تتناول الشاي بعد ذلك في احد الفنادق، ومن ثم تعود الى المستشفى، ذلك ان يوم الاثنين سيكون يوما حافلا...

اما يوم السبت فهو شأن آخر، صحيح ان هناك الكثير مما يمكنها ان تراه في غرونينجن، ولكنها ستغتنم الفرصة فتزور بعض المناطق الريفية المحيطة بالمدينة. انها ستستقل الباص إذ لديها قائمة بأوقات سيره وأسماء بعض المدن الصغيرة. وقررت زيارة مدينة هيليجيرلي لا لسبب سوى انها استساغت الاسم، وكان هناك باصات تذهب الى وينشوتن وذلك على مسافة

www.alkottob.com

قريبة منها. فثلاثة وعشرون ميلاً لم تكن مسافة بعيدة وكان هناك قطار ايضا...

بعد ان وضعت برنامج عطلتها كما تحب، امضت أمسية جميلة في غرفة الجلوس مع زميلاتها، متفرجة على برامج التلفاز.

الفصل السادس

قررت اوجيني ان تستقل الباص قبل الساعة الحادية عشرة، حيث تصل الى هيليجيرلي في منتصف النهار وتمضي فترة العصر هناك، ومن ثم تعود اول المساء فتتناول شيئا من الطعام في مكان هادىء في غرونينجن. كانت كذلك بحاجة الى شراء بعض الحاجيات من صابون ومعجونِ اسنانٍ وشامبو وكذلك بعض الهدايا إذا وجدت شيئا مناسبا.

عندما خرجت من المقهى، شعرت بخيبة الأمل وهي ترى السماء قد ابتدأت تكتسحها الغيوم فسارت بسرعة لكيلا يفوتها الباص وقد ملأت ذهنها صورة الطبيب ريجنما تير ساليس، متسائلة أين عسى ان يكون وماذا يقوم به، عندما وقفت بجانبها سيارة بنتلي بهدوء وفتح الباب ليقول لها:«إلى أين انت ذاهبة؟»

شحب وجهها إزاء هذه المفاجأة كما أثارت اعصابها رغم ان الحياة بدت لها رائعة بشكل مفاجىء، وقالت له بحدة:«ما كان لك ان تزحف نحوي كالأفعى. انني ذاهبة لأستقل الباص...»

«اصعدي إذن، سأوصلك الى محطة الباصات.»

«هذا لطف بالغ منك، ولكن المكان غير بعيد ويمكنني ان أصل إليه سيرا على الاقدام.»

ابتدأت قطرات المطر بالهطول بينما كانت تتابع:«ليس ثمة حاجة لأن...»

التمع البرق ليتبعه هزيم الرعد وهطول المطر في نفس

www.alkottob.com

الوقت، ودفع خوف اوجيني الصبياني من البرق والرعد الى دخول السيارة وقد اغمضت عينيها بشدة، وهي تقول:«انني اخاف العواصف.» ثم اطلقت صرخة صغيرة عندما ابتدأ صوت الرعد الهائل يهدأ، انما بشكل ينذر بالشر.

قال لها يرفه عنها:«تحدث عندنا هنا، احياناً، عواصف سيئة يمكنك ان تستقلي الباص الثاني، ودعيني في نفس الوقت، اقدم إليك فنجان قهوة.»

نظرت إليه بحذر:«آسفة لكوني بهذه الحماقة. انني بخير الآن، هو ذا الباص...»

لكنه تحرك بالسيارة مجتازاً إياه وهو يقول:«إن العاصفة لم تنته بعد.» والتمع البرق وهو يتابع قائلا:«والأفضل ان تنتظري فترة، إنها لن تستمر طويلا.»

تابع سيره متجاوزا قلب المدينة، والمنازل الجميلة والقنال، شعرت اوجيني بالأمان. سألته بحدة:«اين كنت؟ لقد مرت أيام...»

قال بلطف:«هنالك ثلاثة مستشفيات في غرونينجن، يا اوجيني، لي عيادة في كل منها، كما انني أجري عمليات في واحد منها.»

قالت:«حسنا، ليس هذا من شأني.» وشهقت عندما اضاء البرق مرة اخرى.

اوقف الطبيب ريجنما السيارة في منتصف الشارع، وخرج منها يفتح الباب يساعدها على الترجل من السيارة.

سألته مستفهمة:«ما هذا المكان؟»

لم تكن ثمة فائدة من النقاش على الرصيف، وهكذا

صعدت معه عدة درجات الى حيث كان باب قوي متين قادر على صد أي عدوان.

كان ثمة رواق ذو باب زجاجي يؤدي الى قاعة واسعة مبطنة الجدران بخشب قاتم، وأرضيتها من الرخام الأسود والأبيض. كما تدلت من السقف ثريات من الكريستال، بالإضافة الى سلم ذو درابزين خشبي.

قال له:«ان قدميك مبللتان. اخلعي حذاءك وستجففه ميانتج.» امتثلت لما قال وهي تضع يدها على شعرها. تابع قائلا:«لا بأس بالنسبة لشعرك، تعالي واشربي فنجان قهوة.» واستدار ليرى امرأة طويلة القامة متينة البنية تتقدم نحوهما من خلال باب خلف القاعة.

قال:«آه، ميانتج.» وأخذ يتحدث بالهولندية لحظة، ثم قال بعدها:«هذه ميانتج مدبرة منزلي يا اوجيني.»

مدت اوجيني يدها تصافحها قائلة:«أهلا، كيف حالك؟» وذلك بطريقتها الودودة وكانت إحدى زميلاتها سبق وعلمتها كلمات الترحيب باللغة الهولندية، ولكنها لم تشأ ان تجعله يضحك عليها إذ تتكلم لغته بلفظ متكسر، وعلى كل حال، يبدو ان ميانتج قد فهمت ما قالته لأنها ابتسمت لها.

وراء الباب خلف القاعة كان يجثم كلب. ألقت اوجيني على مضيفها نظرة مستفهمة، فقال:«انه باتش وسترينه فيما بعد.» وأومأ الى مدبرة المنزل، ثم اخذ اوجيني متجها بها نحو احد أبواب القاعة.

كانت الغرفة رائعة ذات سقف عال مجصص، ونوافذ مستطيلة، وكانت هناك مقاعد هزازة كبيرة وأريكتان مقابلتان للمدفأة، وخزائن بواجهات زجاجية على مدى

www.alkottob.com

الجدران ومناضد من خشب الماهوغاني ذات الثلاث قوائم موضوعة في أمكنتها المناسبة، كما كانت هناك نافذتان عاليتان انسدلت فوقهما ستائرة من الساتان بلون التوت الأحمر، هذا الى سجادة حريرية كبيرة تغطي معظم الأرض الخشبية.

هتفت اوجيني:«آه، ما اجمل هذا.» ثم شهقت وهي ترى سافيرا تنهض من على كرسي ثم تتقدم نحوهما بخطوات واسعة.

منحت اوجيني ابتسامة باردة، ثم اخذت تتكلم مع الطبيب ريجنما تير ساليس باللغة الهولندية.

اجابها باللغة الانكليزية، قائلاً:«آه، سافيرا... يا لها من مفاجأة حلوة سنتناول جميعا القهوة معا. لقد اعدت اوجيني معي الى ان تهدأ العاصفة.» وقدم كرسياً لأوجيني ثم جلس على كرسي هزاز كبير مواجها المرأتين. كانت تصرفاته في منتهى اللين والرقة، وبحثت اوجيني عن موضوع مناسب للحديث، فسألت بأدب:«ما هي سلالة كلبك، باتش، هل استطيع رؤيته؟»

أجاب:«انه مختلط النسب، وسترينه بكل تأكيد قبل خروجك. ان سافيرا تجد الكلاب والهررة مزعجين في المنزل، ولهذه نبعده الى المطبخ اثناء وجودها.»

قالت سافيرا وهي تمهد تنورتها الكشمير:«انها تتلف ثيابي.» ونظرت باستخفاف الى تنورة اوجيني البسيطة ثم الى قميصها وسترتها الصوفية التي كانت اوجيني ابتاعتها من متجر ماركس وسبنسر الشعبي وهي تتابع قائلة:«طبعا، إذا لم تكن الملابس ذات أهمية...»

حدثت اوجيني نفسها متمنية لو تهزها هزاً عنيفاً لسوء

أدبها هذا، ولكنها بدلاً من ذلك، قالت بابتسامة بالغة الحلاوة:«حسناً، انها ليست ذات اهمية حقا، أليس كذلك؟ خصوصاً إذا كان هناك كلاب وأطفال. ان ذلك تضييع للوقت ايضا.»

بقي وجه الطبيب ريجنما جامداً وهو يقول:«من المفروض ان يرتدي الشخص ما يلائم المناسبة... آه، ها ذي القهوة قادمة.»

كان يحمل صينية القهوة نفس الرجل الذي سبق وقاد السيارة بأوجيني الى عيادة الطبيب ريجنما، حياها مبتسما وهو يضع الصينية على منضدة صغيرة بينهم. وعندما تكلمت معه سافيرا بحدة، تردد، ثم نظر الى سيده.

كان صوت الطبيب ريجنما هادئاً وهو يتكلم، بينما تمنت اوجيني لو تستطيع فهم ما كان يقول، كان شيئاً جعل سافيرا تعض شفتها السفلى غاضبة، ولكنها، مع هذا، وقفت تسكب القهوة، فناول أوجيني فنجانا قبل ان يأخذ فنجانه وهو يقول:«الى أين كنت قررت الذهاب، يا اوجيني؟»

أجابت:«الى هيليجير لي، هنالك باصات جيدة.»

سألتها سافيرا:«لماذا تريدين الذهاب الى هناك؟ لا يوجد شيء في ذلك المكان؟»

اجابت:«لقد اعجبني الاسم.»

قال الطبيب ريجنما:«انه سبب يصلح لزيارة مكان ما، انهم يصنعون الأجراس هناك، هل تعلمين هذا؟ وهم يرسلونها الى كل أنحاء العالم، انها مدينة صغيرة إنما جميلة وستسرك كثيراً.»

www.alkottob.com

مرت العاصفة. انما بقي برق خفيف الى دمدمة الرعد. ولكن السماء لم تعد ملبدة بالغيوم فوضعتٍ اوجيني فنجان القهوة من يدها، قائلة له:«كان لطفاً منك ان جعلتني ألجأ الى هنا. انا واثقة من انني سأسر برحلتي هذه وها قد عاد الجو جميلا.»

وقفت، فوقف هو قائلا:«تعالي لتري باتش قبل ان تذهبي.»

ابتسمت لسافيرا قائلة:«وداعاً، ارجو ألا اكون عطلت عليك صباحك.»

هزت سافيرا كتفيها قائلة:«استمتعي برحلتك. اظنك بمفردك.»

كانت ملاحظة لم تجدها اوجيني تستحق جواباً، مشى الطبيب ريجنما امامها مجتازا القاعة ليمر من خلال باب بجانب السلم، وكانت هناك عدة درجات نزولا ثم باب آخر نفذا منه الى مطبخ فسيح، وتنهدت مسرورة لدى رؤيتها له.

كان مبلطا بأحجارر صغيرة مربعة بينما امتدت على الجدار رفوف محملة بأحجار صغيرة مربعة بينما امتدت على الجدار رفوف محملة بمختلف انواع الاطباق وسخان عصري جدا اقيم بشكل متلائم تماما مع ما يحيط به من معدات قديمة الطراز. وفي الوسط قامت مائدة فسيحة محاطة بالكراسي. كانت هناك حلل نحاسية على الرفوف، وأكوام من الخضار الطازجة على المائدة. كانت ميانتج هناك، بينما وقفت فتاتان عند حوض الغسيل في الطرف الآخر من المطبخ، تغسلان الاطباق الصينية، فتوقفتا عن العمل عند دخول

الطبيب ريجنما ولكنهما عادتا للعمل بإشارة من ميانتج.

قال الطبيب ريجنما شيئا اضحكهن جميعا، ثم استدار يتلقى تحية سرور من باتش والذي كان كلباً متعدد الأنساب ما يجعل من المتعذر وصفه. كان ضخماً طويل الشعر بوجه ثعلب وعينين عاطفيتين بعكس صفي اسنانه المتينة الحادة.

اقتربت اوجيني منه تتحدث إليه:«انك رائع الجمال، فأنت خليط من أحسن انواع الكلاب.»

اغمض باتش عينيه وتنهض سعيداً عندما اخذت تخمش قمة رأسه.

سألت:«هل هو مرغم على السكن في المطبخ؟»

اجاب الطبيب ريجنما:«كلا بالطبع، فهو حر في الطواف في انحاء المنزل.»

«ولكن عندما تتزوج...» ونظرت في عينيه فأمسكت عن متابعة الكلام، بينما قال هو بزقة:«انني لا أعبر الجسر قبل ان اصل إليه.»

عندئذ وقفت واتجهت الى الباب، ثم حيث مدبرة المنزل وعادت الى القاعة وهو في إثرها عند ذلك وقفت ومدت له يدها مصافحة وهي تقول:«اشكرك مرة اخرى، انني ممتنة لك جدا.»

مشى معها الى الباب وفتحه لها، وهو يقول:«ان قريتك دارتمور بعيدة جدا، هل تتمنين لو كنت هناك؟»

أجابت:«انني مشتاقة إليها حقا، ولكنني مسرورة هنا جدا.»

«لماذا؟»

تجنبت نظراته وهي تجيب:«آه، لأسباب كثيرة.» وخرجت

www.alkottob.com

من الباب التفتت إليه قائلة:«الى اللقاء يا سيدي.»
أمسك بيدها قائلا:«هل ابدو لك كبير السن لتقولي لي يا سيدي في كل لحظة؟»
اجابت:«انك لست كبير السن، ما الذي جعلك تظن ذلك؟ ذلك فقط لأنك استشاري فأنا لا افكر بك كسيد، كما تعلم.»
ابتسم ببطء، ثم قال:«استمتعي بنهارك، يا اوجيني.»
استقلت الباص وأمضت بقية النهار في هيليجيرلي تتفرج على الأجراس، وتطوف الشوارع، وتنظر معجبة الى البيوت. تناولت غداءها في مطعم صغير حيث جربت الكلمات القليلة التي تعلمتها من اللغة الهولندية، وعند العصر استقلت الباص عائدة الى غرونينجن وهي تفكر في ما ستفعله هذا المساء، فالعودة الى المستشفى يعني تضييع ساعات من يومها، ومن ناحية اخرى كانت مترددة في تناول الطعام وحدها في المطعم. فبإمكانها ان تذهب الى السينما طبعا. ووقفت في محطة الباصات مترددة.
«كم انا محظوظ إذ اجدك هنا.» وكان هذا صوت الطبيب ريجنما تير ساليس انطلق فجأة ما جعلها تجفل، بينما كان هو يتابع قائلا:«اشفقي عليّ ورافقيني عدة ساعات.»
قبل ان تتكلم، اضاف قائلاً:«لقد ذهبت سافيرا الى حفلة عشاء، ولكن عليّ ان ابقى في المنزل لئلا يكونوا بحاجة إليّ.»
تفحصت وجهه، ثم قالت بحذر:«لقد كنت راجعة الى المستشفى.»

«آه، إذن فستشفقين عليّ إذا لم يكن لديك شيء آخر تفعلينه. فأنا اكره ان اتناول العشاء بمفردي.»
قالت وقد صدقته:«وأنا ايضا كذلك... خصوصاً في بلد غريب.»
«هذا عظيم. كنت ذاهباً سيراً على الاقدام، فهو ليس بعيداً.»
قالت متوسلة:«فليكن مكاناً هادئاً تماماً، من فضلك، فثيابي ليست لائقة، وقد أمضيت بها النهار بطوله.»
«سيكون مكانا هادئا فعلا.»
لم تدرك انهما كانا يقصدان منزله إلا بعد لحظات. فوقفت في منتصف الرصيف تنظر إليه متسائلة، ولكنه استطاع ان يسبقها بقوله:«هل لديك مانع؟ إذا كانوا بحاجة إليّ، لا يمكنك ان تتصوري كم سيضيعون من الوقت لكي يجدوني، هذا إلى ان ذلك سيمنحني الفرصة لكي نناقش قائمة عمليات يوم الاثنين، فهناك اشياء...»
وبهذا تابعت طريقها، فقد بدا لها كلامه الآن معقولا كما كانت تتضور جوعا، هذا الى ان وجودها غير المنتظر معه قد اسعدها كثيرا... وحدثت نفسها قائلة انها لو كانت سافيرا لرفضت الخروج من دونه...
إذا كان الطبيب ريجنما تير ساليس ينظر الى وجهها بشكل عارض، تكهن بفطنته، بما كانت تفكر فيه، فقد كانت أفكاره مشغولة مثلها، ولكن لم يكن يبدو على وجهه أي منها.
استقبلتهما ميانتج حين وصولهما، ووعدت بإعداد العشاء بعد ساعة، بينما قاد جاب زوجها، اوجيني الى غرفة نوم جميلة في الطابق الأعلى لكي تتمكن من

www.alkottob.com

اصلاح مظهرها. بعد عشر دقائق نزلت الى الطابق الارضي وقد اصبح شعرها بالغ التنظيم بينما وجهها الجميل مزينا بعناية وتمنت لو كانت ارتدت ثوبا جميلا. وجاء باتش إليهم في غرفة الجلوس فجلس بينهما وهما يتناولان العصير، ليرافقهما، بعد ذلك الى غرفة الطعام، حيث كان عشاؤهما مكونا من حساء الفطر، والبط مع الصلصة السوداء ثم فطيرة التفاح تعلوها كمية كبيرة من القشدة. وتساءلت اوجيني عما إذا كان الطبيب ريجنما يتناول عشاءه دائما بين هذا الترف والجمال، يحيط به الاغطية والمناشف المطرزة والأواني الفضية والبلورية الجميلة، ام ان ذلك فقط لأنها هنا، وكانت تتصوره دوما يأكل بمفرده على مائدة جرداء وقد يكون هناك كتاب مفتوح امامه... هذا طبعا إذا لم تكن سافيرا معه.

لم يأتيا على ذكر تلك المرأة، فقد تكلما في كثير من المواضيع الهامة، ليس بينها أمور شخصية او جادة بشكل خاص، ولكنها كانت مسرورة وهي تجد ان ميولهما منسجمة وذوقهما متشابه بالنسبة الى الكتب والموسيقى، وفي انهما لا يجدان وقتا للتلفزيون، ويحبان السير على الأقدام تحت المطر، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تحدثا فيها حقيقة، وشعرت براحة كبرى معه.

عادا على الفور الى غرفة الجلوس حيث جلسا يتناولان القهوة، بينما باتش غاف مغمض العينين وقد اسند ذقنه على حذاء سيده.

دقت الساعة الأينوسية المعلقة فوق المدفأة دقة تعلن

الساعة العاشرة، ما جعل أوجيني تقف قائلة:«لم يكن لدي فكرة... لقد أمضيت وقتا طويلا وما كان لي ان افعل هذا. ارجو ألا اكون عطلتك عن القيام بأمرٍ ما.» بدا عليها الارتباك. ووقف هو ايضا انما متمهلا وهو يقول:«كانت امسية ممتعة وأنا شاكر لك جدا بقاءك لتؤنسي وحدتي. وصدقيني لم يكن عندي ما اقوم به، وسأعيدك بسيارتي الى المستشفى.»

* * *

كانت تستعد للنوم عندما دعيت للإجابة على مكالمة هاتفية باسمها.

كان الطبيب ريجنما تير ساليس الذي كانت يقول:«اننا سنسافر الى البوسنة في الساعة الثامنة من صباح الغد.»

كانت لهجته وكأنه يطلب منها ان تستقل الباص لكي تذهب الى مكان معين في لندن. ستتسلمين الملابس التي سترتدينها هناك في الطائرة. سأجري عمليتين لولدين اصابتهما بالغة بحيث لا يستطيعان السفر بالطائرة من دون جراحة. وهما مصابان بشظايا في القلب، وسيكون معنا رافق فان غروت وكذلك احد التقنيين، انني اريد كل ادواتي وكذلك الامصال وباقي المعدات. فهل لك ان تهتمي بكل ذلك؟ ستأتي إليك السيارة في الساعة السابعة من صباح الغد.»

اقفل الهاتف تاركا إياها فاغرة الفم، وبعد لحظة عادت الى غرفتها لتعود فترتدي ثياب التمريض على كل حال، فهذا هو سبب وجودها هنا.

www.alkottob.com

كانت الممرضة كورسما ما زالت في العمل تسلم المسؤولية الى الممرضة الليلية، فاخبرتهما اوجيني بالأمر، وهي تستمع، بإذعان، الى ما سبق وذكرت نفسها به، ألا وهو ان هذا هو السبب في وجودها هنا، ومن ثم ابتدأت في جمع ما تريد أخذه من معدات. وقد استغرق هذا بعض الوقت الى ان اقبل راف فان غروت طبيب البنج الذي اخبرها، ببشاشة، بأنه سيكون عليهم العمل مع المرضى هناك في اجواء غير صالحة، معقباً وهو ما زال على بشاشته، «وقد يطلق علينا الرصاص كذلك.»

انهت ما كانت تقوم به، واطمأنت الى ان كل المعدات جاهزة بما فيها الأمصال والأنابيب، والإبر والخيوط الجراحية، وكذلك لم تنس ان تضم الى كل ذلك علب الحليب والقهوة. لم تكن تشك في انهم سيقدمون اليهم الطعام هناك، ولكن الطبيب ريجنما من غير المحتمل ان يتوقف عن العمل ليذهب ليتناول الطعام وذلك بعد ان يبدأ في إجراء العملية.

عندما استحمت وأوت الى فراشها، كان الوقت قد تأخر. وانتشر خبر سفرها الى البوسنة بين الموظفين ما جعل زميلاتها يأتين ليسألنها عن ذلك. وسألتها آخر من خرج منهن:«هل انت خائفة يا أوجيني؟»

اجابت أوجيني:«لم اجد وقتاً بعد للشعور بالخوف، ولكنني اظن ان الذعر سيتملكني فيما بعد.»

استيقظت اوجيني تمام الساعة السادسة والنصف صباحاً وارتدت ملابسها ثم جلست لتناول طعام الإفطار في غرفة الطعام التي كانت خالية. وملأت حقيبة كتفها بمعداتها الشخصية التي تحتاجها وجواز السفر

ومبلغ صغير من النقود وخرجت تنتظر في المدخل. بعد لحظات وصل الطبيب وحياها بمرح، لكنه نظر الى الحقيبة في كتفها بشيء من الشك، ثم قال:«سنمضي هناك عدة أيام.»

«نعم، توقعت هذا، وقد احضرت معي كل ما احتاجه.»

ألقى بالحقيبة في المقعد الخلفي وجلس الى جانبها. بدا في بنطاله البسيط وقميصه المفتوح العنق نموذجاً للرجل المتفرغ من العمل.

قالت بحدة:«ارجو ان تجد وقتاً تخبرني فيه الى اين نحن ذاهبان وكيف وإلى متى؟»

اجاب:«لا استغرب شعورك بالغيظ. حاولي ان تنفسي مشاعرك عليّ إذا كان هذا يريحك.» وألقى عليها نظرة جانبية سريعة:«اننا سنستقل طائرة حربية من مطار خارج المدينة. وستتسلمين ملابس الميدان لترتديها وسنغير ملابسنا قبل الرحيل. هناك ولدان، كما سبق وأخبرتك، وسأجري لهما العملية إذا كان ذلك بالإمكان. وقد يستوجب ذلك بقاءنا يوماً او اثنين، وإلى ان يصبح سفرهما مأموناً صحياً، يمكننا نحن السفر.»

كان يقود السيارة خلال الشوارع وقد بدا عليه وكأنه ذاهب الى نزهة. «وعندما نستقر في الطائرة، سأراجع معك تلك الحالتين، كما ان فان غروت ووِيم سيلتقيان بنا في المطار.»

كانا الآن في الريف خارج المدينة، وقد احاطت بهما الحقول الخضراء، فحدثت نفسها انها ستكون سعيدة لو رأت ذلك مرة اخرى من بعد هذه هذه الرحلة الى البوسنة.

www.alkottob.com

سألها:«هل كنت قد قررت شيئاً بالنسبة الى العطلة الاسبوعية؟»
اجابت:«كلا، فقد فكرت في الخروج لاكتشاف النواحي لفترة قليلة.» ثم اضافت بعد برهة:«لقد اتصلت بأمي الليلة الماضية ولكنني لم اخبرها عن وجهة سفرنا.»
«هذه منتهى العقلانية منك. لقد تحدثت انا الى والدك، وقد وافقني على انه لا ضرورة لجعل والدتك تعلم الى أين سنذهب. يمكنك ان تعودي للاتصال بها بعد عودتنا.»
«آه، حسناً أشكرك، ألم يكن قلقاً عليّ؟»
«لقد اخبرته انك ستكونين في أيد أمينة، يا اوجيني.»
«شكراً... اظن ان خطيبتك سافيرا قلقة...» لم تعرف ما الذي جعلها تقول ذلك، وانتظرت جوابه شاعرة بالضيق.
«كلا، كلا، انها غير قلقة. لقد انزعجت قليلاً فقط لأننا كنا مدعوين للنزول ضيوفاً على بعض الاصدقاء في ليمبورغ لقضاء عطلة الاسبوع، ولكنها ستذهب بمفردها.»
جعلها شيء في صوته، تقول بسرعة:«من المحتمل انها تتفهم الأمر.. وهي عندما تصبح زوجتك ستعتاد على غيابك عن البيت.» وتابعت بتأمل متلهفة لأن تبدي عطفها دون فضول:«ان زوجات الاطباء... اعني انك تتغيب كثيراً، أليس كذلك؟»
قال برقة:«هذا صحيح، ولكن لا حاجة بك للقلق عليّ.»
«ولكنني لست قلقة ابداً عليك يا سيدي؟ ما الذي يجعلني أقلق؟»
«هذا سؤال هام.» وأبطأ بالسيارة، ثم توقف عند بوابة مخفورة، حيث تحدث الى الحارس ثم تابع سيره، كان

هناك عدة مبان، باحة مخصصة للطائرات ما بدا انه برج مراقبة، هنا الى صرح شامخ او اكثر، مبني من القرميد ربما كانت مكاتب. وتوقف الطبيب ريجنما بجانب هذه ثم خرج من السيارة واستدار يفتح لها بابها:«ان فان غروت ووِيم موجودان هنا، ادخلي انت من ذلك الباب الأول حيث ستجدين من يخبرك بما عليك ان تقومي به.»
كانت كمن في حلم، ولكن بما انها تحلم، فإن عليها ان تتبع التعليمات التي تلقى عليها دون اعتراض. ودخلت من الباب لتبادرها فتاة جميلة بقولها:«مرحبا، انني ساين، ان ملابسك هنا وأمامك عشر دقائق فقط.»
تبعتها اوجيني الى غرفة صغيرة لا تحوي سوى منضدة وكرسيين، ثم قالت ساين:«دعي اشياءك هنا، وآمل ان تكون الملابس ملائمة. لقد حاولت كل ما بإمكاني...»
ارتدت أوجيني السروال الفضفاض والقميص. أعطتها ساين خوذة زرقاء وحقيبة، وهي تقول:«سيقدمون إليكم قهوة في الطائرة.»
«كم ساعة ستستمر الرحلة؟»
«آه، عدة ساعات. ان لديك رجلاً رائعاً لتتحدثي معه، وهكذا لن تنتبهي الى الوقت. يا ليتني كنت مكانك.»
قالت اوجيني:«انه سيتزوج من امرأة شابة جميلة جداً. وعلى كل حال، اظننا سنتحدث في شؤون العمل فقط.»
ورأت على وجه ساين نظرة حائرة فتابعت:«وذلك عن العمليات التي سيجريها هناك.»
«هذا مؤسف، اظن ان عليك ان تذهبي الآن. اتمنى لكما حظاً سعيداً.»

www.alkottob.com

كان في الخارج سيارة جيب في انتظارها، وقد سبقها إليها الطبيب ريجنما والطبيب فان غروت والطبيب ويم. هذا الى جانب السائق، الذي قاد السيارة، وسار الى ابعد نقطة في المطار حيث كانت هناك طائرة قد ابتدأ محركها في الدوران.

قيل لها:«اجلسي هنا.» فجلست شاكرة، وقدم إليها الطيار ومساعده نفسيهما بينما كان الآخرون يشرفون على تحميل الامتعة:«انا جاك وهذا ايفيرت. من سرورنا ان تكوني في طيارتنا يا آنسة، لا يحدث كثيرا ان تسافر معنا سيدات رائعات الجمال مثلك انك تسافرين كثيرا. أليس كذلك؟»

«كان علينا ان نسافر الى ماديرا منذ نحو اسبوعين. ان السفر لا يهمني كثيرا.»

قال جاك يطمئنها:«سنطير بكل حذر، امتصي قطعة حلوى عندما نشرع في الاقلاع، وبعد ذلك استسلمي للنوم، وان كان هذا لا يعني ان ذلك واجب عليك.»

ضحكت وهي ترى المودة مرتسمة على ملامحه، وكان الطبيب ريجنما يصعد الى الطائرة، فنظر إليها بحدة، فقد كانت ضحكتها حلوة تماما.

انها تحبه... وهو حب دون فائدة ولن يصل الى نتيجة، وبعد اسابيع قليلة ستصل بديلتها وستعود هي الى انكلترا ولن تراه بعد ذلك ابدا. وما لبثت احلام اليقظة المبهمة ان ابتدأت تحوم حول رأسها ما جعلها تستسلم الى النوم على الفور. وكان ويم هو الذي ايقظها محضرا لها طبق شطائر وفنجان قهوة، وهو يقول لها:«خذي، كلي واشربي، اننا سنصل بعد فترة قصيرة. هل نمت جيدا؟»

شكرته ونظرت الى ساعتها، لقد نامت جيداً في الواقع، حوالي الساعتين، شربت القهوة وابتدأت تأكل الشطائر وهي تنظر من النافذة، انهم الآن فوق الأرض، ولكن لم يكن لديها فكرة عن أية ارض هي، فقد بدت مسطحة ومغطاة بالغابات.

كان الطبيب ريجنما عائداً الى مقعده وهو يحمل في يده شطيرة. سألها:«هل انت بخير؟ هذا حسن. إذا استطلت بعنقك، فستظفرين بلمحة خاطفة من البحر الادرياتيك. لقد طرنا فوق المانيا والنمسا، وقد وصلنا تقريبا. انها بلاد جبلية، ولكننا سنهبط الى الارض بعد نصف ساعة او نحوها كما يقول جاك، وسنذهب الى المستشفى مباشرة ونرى الجراحين، وربما اجرينا العملية في آخر هذا النهار.»

نهض واقفا:«وسيكون من الافضل لو وقفت معي اثناء تبادلنا الحديث.»

«حسنا جدا.»

«اظنها فكرة صائبة لو انك تخاطبينني بإسمي الأول ايديريك، الا توافقين على هذا؟»

«حسنا جدا أيها الطبيب... ايديريك.»

فشعرت بيده على كتفها، عريضة مطمئنة، قبل أن يعود الى الآخرين.

ما لبثت الطائرة ان حطت بهم، وصعدت هي مع الآخرين في سيارة جيب الى مباني المطار وبعد توقف قصير، تابعوا سيرهم في طريق ضيق مليء بالحفر، كانت الجبال تمتد في جانب منه وفي الجانب الآخر كانت هناك حقول وبعض البيوت القروية المهدمة، وكانت

www.alkottob.com

السيارة تسير بهم خلال المنطقة المحيطة بالمدينة عندما انفجرت قنبلة على بعد عدة مئات من الياردات منهم فانطلقت صرخة خوف من اوجيني.
مال الطبيب ريجنما نحوها قائلا:«هناك وقف لإطلاق النار. ولا بد ان هذه قد اطلقت خطأ.»
ضحك الجميع بمن فيهم هي نفسها وذلك بشيء من التردد. ما كان لها ان تخاف، فإيديرك هنا، قريبا منها.

الفصل السابع

كان الوقت قد تأخر عندما ذهبت اوجيني الى الغرفة التي اعطيت لها في المستشفى. كانت متعبة، فقد كان يوماً مجهداً لن تنساه ابداً، ولولا وجود ايديريك لانفجرت باكية وبقيت تبكي طوال النهار. إذ من الواضح انه لم يكن يتوقع منها عملا كهذا، فهما هنا لتأدية عمل لا مجال فيه للمشاعر الشخصية.
كان النهار في آخره عندما ابتدأ الطبيب ريجنما يجري العملية. وقد استغرق منه اخراج الشظية الدقيقة التي كانت قد استقرت على بعد شعرة من قلب الطفل، وقتاً طويلاً، ولكنه قام بذلك بكل نجاح. وسيشفى الطفل في اقرب وقت ممكن، فيتمكن من السفر بالطائرة الى مستشفى آخر بأمان. اما الطفل الآخر فقد كانت حالته اكثر خطورة، فقد كان ثمة شظية قنبلة في القلب نفسه، وسيكونون بحاجة الى جهاز القلب والرئتين، كما ان حالة الطفل الصحية لم تكن تسمح بإجراء عمليه له قبل اثنتي عشرة ساعة على الأقل، وهذا يعني ان امامهم يوماً شاقاً آخر. وهكذا جمعت نفسها على الفرشة الصلبة واستغرقت في النوم.
كانت قد توقعت ان تستيقظ باكراً، ولكن ليس في الرابعة صباحاً. اخذت ممرضة تهزها لتستيقظ قائلة:«يجب ان تذهبي الى غرفة العمليات... هناك رجل جريح. تعالي حالاً، وسأكون انا هناك ايضاً وكذلك اثنان من جراحينا.»

www.alkottob.com

ارتدت اوجينا بسرعة بنطالاً وقميصاً، ورفعت شعرها رابطة إياه فوق رأسها، وأسرعت، خلال الممرات لتجد ايديريك والطبيب غروت ووِيم هناك ومعهم جراحان والممرضات.

استدار إليها الطبيب ريجنما حال دخولها:«إصابة في الشريان التاجي، سأحاول ان اخيطه، وإذا لم استطع سيكون هنا خلال عشر دقائق او نحو ذلك، ليس لدينا وقت نضيعه.»

ابتعد بينما ابتدأت هي عملها مع الممرضات. كانت غرفة العمليات جاهزة ولكن كانت هناك أدواته الخاصة، التي سبق تعقيمها، لكي توضع على المنضدة حالما تنتهي هي من تجهيز نفسها.

كان المريض شاباً غائبا عن الوعي، شاحب اللون. وساور أوجيني الرجاء في أنهم ادركوه في الوقت المناسب.

أخذ الطبيب ريجنما يعمل بسرعة وقد استغرق في مهمته بشكل كامل، وما لبثت اوجيني ان اطلقت تنهيدة ارتياح عندما قال اخيرا:«اظن انه سيعيش.» وقال مخاطبا الجراحين الواقفين معه:«انه شاب قوي.»

حمل المريض الى خارج الغرفة وكذلك غادر الرجال بينما بقيت اوجيني مع زميلاتها لإعادة تنظيم المكان مرة اخرى وترك كل شيء جاهزا.

عادت الى غرفتها بعد ذلك، لتغسل وجهها ويديها وتنظم شعرها، وعند عودتها الى غرفة العمليات اخبروها ان الطبيب ريجينا سيجري عملية بعد الظهر، وإلى ان يحين ذلك، عليها ان تعاون بقية الممرضات في الاقسام. وكان هناك كثير من العمل، فأخذت تغير الضمادات وتنظم

الغرف وتتبادل الابتسامات مع المرضى، حيث انها لم تكن تفهمهم او يفهمونها.

كان طعام الغداء عبارة عن حساء، وجاء ايديريك ليجلس بجانبها عدة دقائق قائلا لها:«سأجري عملية ذلك الطفل بعد ساعة. هل كنت مشغولة هذا الصباح؟»

وضعت ملعقتها وهي تقول متسائلة:«نعم، كان الامر بمثابة كابوس... أليس كذلك؟»

«الكابوس لا يكون كابوساً وانت فيه، يا أوجيني.»

اخذا يحدق الواحد منهما الى الآخر. كانت عيناه مركزتين على وجهها، بينما عيناها تتفحصان وجهه وقد قطبت جبينها بحيرة، وهي تقول:«أوه...» ثم تابعت محاولة ان تحول عينيها عنه. «الافضل ان اذهب وأبدأ العمل...»

نهض معها عائداً الى ويم وفان غروت بينما ذهبت لعملها المعتاد في اعداد غرفة العمليات محاولة ان تنسى كلماته تلك. ما الذي قصده بالضبط، وكانت لا تنفك تتساءل عن ذلك مرة بعد اخرى.

لم يكن لديها وقت للمضي في التساؤل. فقد كانت العملية معقدة وتأخذ وقتا طويلا خصوصا لنقصان الكثير من المعدات. ولكن الطبيب ريجنما بقي مستمرا، على كل حال، بكل هدوء متجاهلا نقص هذا الجهاز او ذاك، مستمرا في العمل كيفما اقتضى الحال. فالطفل يجب ان يعيش، وعندما حمل الطفل من غرفة العمليات، ذهب معه وكذلك الجراحان اللذان ساعداه في العملية وذلك للإشراف على العناية بمريضه الصغير بعد العملية، تاركا اوجيني تقوم، مع بقية الممرضات بالعمل المعتاد

www.alkottob.com

في غرفة العمليات من تنظيم وتنظيف ليتركنها جاهزة لأي عملية قد تأتي بعد ذلك، ثم يخرجن جميعا لتناول العشاء المكون من اللحم المطبوخ، وتناول القهوة. كانت تقف في المدخل متسائلة في أي اتجاه تسير، عندما اقترب منها الطبيب ريجنما وهو يقول:«لا تسيري في ذلك الاتجاه. هناك حديقة خلف المستشفى محمية من وصول الرصاص إليها تقريبا.» ثم اعادها الى الداخل حيث سارا خلال ممرات متشابكة الى حيث كان هناك باب جانبي فتحه ونفذا الى حديقة تعالت فيها النباتات المختلفة، وكانت هناك أزهار تكافح في سبيل الحياة بين مختلف الأعشاب الطفيلية، كما ان النسيم كان رقيقا.

اخذا يتلمسان طريقهما حتى وصلا الى جدار متداع، كان المنظر من هناك رائعا، وقالت أوجيني:«ما أروع هذا الجمال، ثم هناك رائحة حلوة تماما.»

فقال:«انه الصعتر. اعتقد اننا سنعود الى الوطن بعد يومين، يا أوجيني.»

«بالطريقة التي جئنا بها، وسنأخذ معنا بعض المرضى.»

ادارها لتواجهه، ثم تابع مبتسما لها:«شكرا يا أوجيني.»

ثم اضاف:«يا حبي.»

عند ذلك، توقفت عن التنفس برهة، قالت بعدها بسرعة:«أليس من الافضل إن نعود؟»

«طبعا، فقد كان يوما شاقا، ثم ان هناك عدة عمليات للغد، وحيث اننا احضرنا معنا بعض الامدادات، فهناك الكثير يمكننا القيام به. انني سأساعد هنا، وأنا واثق من انك انت ايضا ستجدين ما تقومين به.»

لا بد انها كانت تحلم، لقد عادت الى المستشفى معه ثم

حيته تحية المساء، حتى ولو قال تلك الكلمة فعلاً، فلا بد انه قد ندم عليها الآن.

لماذا قال لها انها حبه؟ اخذت تتساءل عن ذلك وهي تتهيأ للنوم، أتراه قد امتلأ بالشوق الى سافيرا الى حد جعله ينسى لحظة ان من كان يتحدث إليها هي اوجيني وليست سافيرا؟ وبدا لها هذا ممكنا، وساورها الرجاء في ان الفتاة تحبه بقدر ما يحبها...

لم تره كثيرا بعد ذلك الى ان حان وقت الرحيل، وأثناء رحلة العودة ، كان هناك المريضان وكان يتعين عليها الاهتمام بهما وبراحتهما قدر الإمكان. وبدت لها الرحلة اطول مما هي عليه، كما ان ايديريك كان يتجنبها...

اخذ نقل المريضين إلى سيارة الاسعاف التي كانت بالانتظار، وقتا طويلا، خصوصا الطفل الصغير الذي كانت تحمله أمه الشابة والتي كان يتملكها الارتباك. وقد قيل لأوجيني ان تذهب معهما، وتمنى لها الطبيب ويم والطبيب فان غروت وقتا حسنا، ولكن الطبيب ريجنما قال لها بعدم اهتمام:«الى اللقاء فيما بعد، يا اوجيني.»

سارت بهم سيارة الاسعاف، ليس الى المستشفى الذي تعمل هي فيه في غرونينجن، وإنما الى مستشفى اصغر في الناحية الاخرى من المدينة، وبعد اكثر من ساعتين، كانت تقف امام المستشفى الذي كانت تسكن فيه. كان عليها ان تتوجه الى رئيسة الممرضات حال وصولها، والتي اخبرتها بعد التحية، ان عليها ان تأخذ يومين إجازة قائلة:«إن الطبيب ريجنما تيرسالس لن يجري أية عملية قبل يومين، وقد اخبرني ان عملك هناك كان

www.alkottob.com

مجهداً تماماً. فاذهبي واستمتعي بهذه العطلة، يا آنسة سبنسر.»
وحاولت اوجيني جاهدة، عدم التفكير في ايديريك ولكن ذلك كان مستحيلا. فكانت تتساءل عما يفعله الآن. وهل تراه يخطط مع سافيرا لحفلة الزفاف؟

* * *

كان الطبيب ريجنما مع سافيرا فعلاً. ولكن موضوع الزفاف كان آخر ما يمكن ان يدور الحديث حوله. كانت سافيرا قد وصلت في سيارتها الصغيرة الأنيقة، متحدية القانون الذي يقول ان السيارات الضرورية فقط بإمكانها ان تسير في المدينة، لتدخل، بعد ذلك، المنزل بكل مباهاة وكأنها صاحبته، وها هي ذي الآن تجلس أمامه، صورة تبعث على السرور في ثوب حريري زاهي اللون، وشعرها قد صفف بشكل فني لا يجيده سوى حلاق ماهر كما كانت زينة وجهها لا تشوبها شائبة، وكانت تقول بنكد:«ما دام ليس لديك عمل هذا النهار، فلماذا لا يمكنك مرافقتي الى دنها غ؟ كنت اظن انك ستكون مسروراً بالمجيء معي بعد غيابك الممل ذاك. لا استطيع ان اتصور السبب الذي جعلك تذهب فلا بد ان يكون هناك غيرك من الجراحين.»
حدقت في وجهه الساخر، ثم سألته:«هل اخذت تلك الفتاة معك؟» وعندما اومأ برأسه اضافت تقول:«لا استطيع التفكير في سبب هذا... فهناك عشرات من الممرضات بإمكانهن القيام بعملها.»
عندما لم يجب سألته:«متى ستحضر بديلتها؟»

«خلال الأسبوع القادم او نحوه. انني آسف لعدم تمكني من القدوم معك، يا سافيرا... فإن لديّ الكثير من المشاغل رغم انني لست في المستشفى.» وزمجر الكلب باتش الذي كان جالساً عند قدمي سيده، فقالت سافيرا بضيق:«آه، ارجوك تخلص من ذلك الكلب، انني لا اطيقه.»
قال الطبيب ريجنما بهدوء:«انك تعلمين كما اعلم انا، انني لن اتخلص من باتش ابداً. قدمي أسفي الى فان هوفز من فضلك، فمن المحتمل انهم استعدوا ليوم ممتع.»
نهضت سافيرا وقالت:«انني اتساءل احياناً عما إذا كنت اريد حقا الزواج منك، فأنت لا تستمتع بالحياة إلا قليلا.»
بدا عليه وكأنه سينطق بجواب، ولكنه لم يقل شيئاً. وإنما ودعها فقط متمنيا لها يوما ممتعاً.
عندما ذهبت، استقل سيارته متجها الى المستشفى وباتش بجانبه، ولم يكن به حاجة للذهاب الى هناك، في الواقع. ولكن، لا بأس، وذهب لرؤية مرضاه لمدة قصيرة، ثم تناول فنجان قهوة مع الممرضة كورسما، ثم ذهب متمهلا الى القاعة الأمامية حيث سأل البواب:«ألم تخرج الممرضة سبنسر بعد؟»
أجاب:«منذ نصف ساعة، فقد اخبرتها كيف تجد طريقها الى المتحف. وقد أرادت ان تعلم ايضا من أين تستأجر دراجة نارية، فقلت لها ان تذهب الى ذلك المكان الذي بجانب المحطة.»
قال الطبيب ريجنما متكلفاً شرود الذهن:«آه، نعم.» ثم

www.alkottob.com

عاد الى سيارته وهو يخاطب الكلب باتش:«اترغب في نزهة جميلة في الغابة؟ اننا أنا وأنت، بحاجة الى شيء من الترفيه.»

كان المتحف يكاد يكون فارغاً من الرواد، ولهذا وجد ايديريك أوجيني بسهولة،حيث كانت جالسة امام بعض اللوحات الفنية الهولندية الرائعة. كانت تبدو رائعة الجمال في جلستها الثابتة وثوبها القطني، وقد بدا عليها الاستغراق في جمال اللوحة التي أمامها.

جلس بجانبها وهو يقول متجاهلا شهقة الدهشة التي صدرت عنها:«ان هذا النهار اجمل كثيراً من ان يمضيه الشخص في متحف وباتش يتوق الى الطواف في أرجاء الريف، هل تأتين معنا؟»

استردت انفاسها وتمالك نفسها، فأجابت:«هذا لطف بالغ منك، ولكنني سعيدة جداً هنا في الحقيقة.»

فقال:«لا تنطقي بهذا الكلام الفارغ.» أوقفها على قدميها ثم قادها نحو المدخل. توقفت تسأله بعنف:«اين خطيبتك سافيرا؟»

«ذهبت الى دنهاغ حيث هناك حفلة غداء ثم عرض أزياء.»

«حسنا، وعلى كل حال لا اظن انه ينبغي ان آتي معك.»

ونظرت بعيداً وهي تتابع:«لو كنت انا سافيرا، لاستأت من ذلك.»

«انك، على كل حال، لست سافيرا، يا أوجيني.»

نظرت إليه قائلة:«نعم.»

«اتثقين بي؟»

«طبعا.»

«هذا حسن، إن سيارتي عبر الشارع هذا.» حياها باتش مسروراً، منتقلا الى المقعد الخلفي. وجلست هي في مقعدها شاعرة وكأنها قد فقدت سيطرتها على الاحداث، بينما جلس الطبيب ريجنما بجانبها وهو يقول:«هنالك مدينة جميلة تدعى تيرأبيل ليست بعيدة من هنا، وفيها غابة ونزهات جميلة على الأقدام ان باتش بحاجة الى تمرين رجليه وكذلك انا. وأظن انك قد تستمتعين بهذا.»

كانت تيرأبيل تبعد حوالي ستة وثلاثين ميلاً من غرونينجين ولكن ايديريك لم يسلك الطرق الرئيسية، بل تحول الى الطرق الريفية دون ان يبتعد عن القنال متوقفا عند مقهى ليتناولا القهوة.

قالت بلهجة قصدت منْ ورائها القيام بحديث جاد مهذب:«ان هذه المنطقة الريفية بالغة الجمال.»

فقال بلطف:«انها رائعة، وهناك عدة قرى تماثلها جمالا... سنتناول الغداء في واحدة منها.»

استقلا السيارة مرة اخرى متوجهين شمالاً عدة اميال الى بورتانج وهي لا تبعد سوى ميل او ميلين عن الحدود الألمانية، حيث كان يوجد نزل صغير جميل من طراز القرن السابع عشر حيث تناولا الغداء وحيث ان الجو كان حاراً فقد تناولا العصير البارد تلته القهوة بعد الغداء.

كانا جالسين خارج المنزل حيث كان حولهما قليل من الزبائن، وقد رقد باتش بينهما بعد ان شبع من طعامه الذي قدم إليه.

سألته اوجيني فجأة:«اتظنهما سيعيشان؟»

www.alkottob.com

فأدرك على الفور ما تعنيه:«نعم، اعتقد ذلك، فهما الآن يتلقيان العلاج المناسب، سأزودك بأخبارهما على الدوام.»

«انني احبّ ان اعرف ذلك، فهو شيء سأتذكره على الدوام.»

نظر إليها قائلاً:«طبعاً، ان بديلتك ستعود إلي قريباً. اظنك ستكونين مسرورة بالعودة الى انكلترا. ولكنني سررت جدا بوجودي هنا... هذا الى انني ذهبت الى ماديرا، ثم هذه الرحلة الأخيرة...»

قالت متظاهرة بالحماس:«آه! طبعاً...»

«من المحتمل ان تسافري مرة اخرى قبل رحيلك. ان لدي مريضين في الاسبوع القادم في غرونينجن، وبهذا لن ينتابك الكسل.» وابتسم لها:«اذا لم تكوني مرهقة، فسنتابع طريقنا شمالا... هناك قرية جميلة تدعى وورفام قامت بيوتها على الروابي فوق مستوى المياه.»

تابع سيره متبعا طريق الساحل الى حيث القرية وكان يجيب على اسئلتها بصبر الى ان اعلن اخيرا ان وقت العودة قد حان.

كانت غرونينجن تبعد الآن اربعة عشرة ميلاً فقط، وعندما دخلا مشارف المدينة، قالت:«كان هذا لطفا كبيرا منك يا دكتور ريجنما...»

«حسنا يا ايديريك، انما فقط حين لا نكون في المستشفى. لقد استمتعت بيوم جميل.»

«هذا حسن.» وانتظرت منه ان يقول انه هو ايضاً استمتع بذلك، ولكنه لم يفعل. سارا خلال الشوارع غير المزدحمة ثم وقف امام منزله:«شاي؟» وخرج

من السيارة قبل ان تجيب، وفتح الباب لها.

«اظن عليّ ان اعود الى المستشفى، شكراً لك على كل حال...»

«لماذا؟»

اجابت باستياء:«لماذا تلقي كل هذه الاسئلة الغريبة؟ انا... انا فقط... اظن ان عليّ ان اعود الآن.»

قال لها:«اسمحي لقلبك، ولو مرة واحدة، ان يتغلب على حذرك من العواقب. ما احسن ما قررته من عدم الزواج بالاستاذ جوشا واطس، فهو كان سيمضي بقية حياته فاشلاً معك وذلك بشكل يدعو الى الرثاء.»

قالت:«ليس جميلا منك ان تقول شيئا وقحا كهذا... انت المستشارين المشهورين يجب ان لا يكونوا وقحين.»

ضحك قائلا:«ان المستشارين المشهورين مثل غيرهم من الرجال... فهم يحبون ويكرهون، ومثلهم يفقدون اعصابهم احيانا، وينسون اشياء، ويعبرون عما يفكرون فيه...»

فقالت بحدة:«يا لها من مناقشة حمقاء تدور على الرصيف.»

«هذا صحيح. فدعينا ندخل المنزل قبل ان افعل شيئاً اكثر حماقة.» كان صوته رقيقاً ما بدا لها من الحكمة ان تقوم بذلك. وعندما يصبحان في داخل المنزل، كما اخذت تحدث نفسها، فستلقي بعض الكلمات المناسبة عن هذا النهار، ثم تلقي عليه تحية الوداع متوخية البرود في لهجتها ولو انها ستجد من الصعب عليها ذلك حين تكون معه، ولكن خطتها الحكيمة هذه سرعان ما تبددت في الجهات الأربع عندما دخلا غرفة الاستقبال

www.alkottob.com

واستدارت سافيرا عن النافذة لتواجههما. كلمته باللغة الهولندية متجاهلة اوجيني:«لماذا جاءت الى هنا، وما الذي كنتما تتحدثان عنه على الرصيف؟»

لم تظهر أي دهشة على وجه ايديريك الوادع هذا إذا كان حقا شعر بالدهشة، وهو يجيب:«كنت انا وأوجيني والكلب باتش نتمشى في الريف... كان يوما جميلا. هل استمتعت بوقتك مع آل فان هوفز؟»

قالت مصرة على التحدث بالهولندية:«لقد اخبرتني بأنك مشغول، ولكن ما ان ادرت ظهري حتى خرجت مع هذه الفتاة.»

فقال بهدوء ولكن بصوت كالثلج برودة:«هل لنا ان نتابع الحديث بالانكليزية؟ لعلك نسيت ان اوجيني لا تفهم اللغة الهولندية.»

ألقت نظرة على اوجيني ثم قالت لها:«حسناً، ربما لا يستحق الأمر هذا، أليس كذلك؟ فأنت سترحلين في خلال أيام قليلة.»

كانت أوجيني تشعر بالذعر إذ تقف هناك، عالمة بأنهما يتحدثان عنها دون ان تفهم سوى كلمة من هنا او هناك. وعندما وجهت سافيرا إليها الحديث، استطاعت عند ذاك، النطق فقالت مظهرة السرور بينما كانت تغلي في داخلها:«نعم... ما اسرع ما مرت الأيام. هل لديك مانع في ان اعود الآن الى المستشفى؟ ان لدي موعدا هذا المساء.»

اطلقت هذه الكذبة البيضاء برباطة جأش جعلت الطبيب ريجنما يلقي عليها نظرة سريعة، انما كل ما قاله هو:«سأوصلك الى المستشفى.»

قالت اوجيني بمنتهى الحلاوة:«أشكرك.»كانت ابتسامتها رقيقة، ثم استدارت تبتسم لسافيرا، قائلة:«ارجو ان نتقابل مرة اخرى قبل سفري.» وبقيت تثرثر مرحة، اثناء توصيله لها بسيارته الى المستشفى، بذلك النوع من الحديث الذي كانت تحسنه، الجو، حالة المواسم، الحدائق والعناية بها، وكل هذا كان هو يجيب عليه مهمهما بذهن شارد.

عند المستشفى، خرج من السيارة واستدار يفتح لها بابها، وعندما ترجلت من السيارة قال لها:«انني اعتذر عن سافيرا، فهي لا تعني دوما ما تقوله. انني آسف لأنها ابدت ذلك الاستياء...»

اجابت اوجيني بمرح:«لا تهتم لذلك. وأرجو ان تمضيا مساءً سعيدا معا، وشكرا مرة اخرى لهذا النهار الممتع جدا. انني سأعود الى انكلترا ترافقني بعض الذكريات السعيدة عن هولندا.»

«هل انت مسرورة لرحيلك؟»

اجابت متكلفة الابتسام مرة اخرى:«نعم. مع السلامة يا دكتور ريجنما تير ساليس.»

واندفعت داخلة الى المستشفى، آملة ان تكون تركت لديه انطباعاً بأنها ذاهبة الى مكان ما وان ليس لديها وقتاً تضيعه.

وفي غرفتها، جلست على سريرها تفكر. ان سافيرا امرأة فظيعة وايديريك لن يكون سعيداً معها وإن كان يحبها، انما طبعا، لا بد انها تبدو مختلفة، تماما عندما يكونان وحدهما... وهكذا قررت أوجيني الا تفكر كثيرا في هذا الموضوع، فقد أصبح واضحا الآن انها ستعود

www.alkottob.com

قريباً الى انكلترا، صحيح انه لم يقل شيئاً محدداً عن ذلك، ولكن من الواضح ان سافيرا تعلم شيئاً عن هذا الموضوع، وعليها هي ان تتقبل الحقيقة، وهو ان يعتبرها زميلة عمل له. وبما انها في بلد اجنبي فهي بحاجة الى من يرعاها. انما لماذا قال لها يا حبي؟ ولكن كان ذلك مرة واحدة خلال احداث عصيبة... وقد اعتبرت هي ذلك بأنه كان ممتلئاً شوقاً الى سافيرا حيث قال ذلك.

نزلت لتناول العشاء، وبعد ذلك جلست مع زميلاتها في غرفة الجلوس حيث تشرب القهوة وتراقب التلفزيون الى ان يحين وقت النوم.

استيقظت في اليوم التالي باكراً، وبإرشاد من زميلة لها، خرجت الى حيث استأجرت دراجة نارية ذهبت الى دينهام حيث اخبروها انه يوجد هناك منزل قديم يستحق المشاهدة رغم ان من المستحيل الدخول إليه. كانت نزهة ممتعة، حيث تناولت غداءها في مقهى قروي لتعود بعد ذلك الى غرونينجن سالكة طريق القنال الى المستشفى. وهناك طلبت منها بعض زميلاتها الذهاب معهن الى حفلة موسيقية مسائية فقبلت ذلك بسرور. وعندما انتهت ذهبن الى مطعم تناولن فيه عشاءً مكوناً من سمك مدخن على خبز وزبدة ثم حلوى مقلية مع شراب السكر تبعتها اكواب القهوة، وبينما كانت اوجيني تأكل، كانت تتساءل عما قد يكون ايديريك وسافيرا يأكلان الآن، والذي لا بد ان يكون شيئاً لذيذاً... ولو رأت سافيرا نوع الطعام الذي أمامهن هذا لشمخت بأنفها احتقاراً...

لم تر اوجيني الطبيب ريجنما مرة اخرى، قبل يوم

الاربعاء التالي وذلك في غرفة العمليات فقط حيث ألقى عليها تحية الصباح بأدب ثم أدلى بعدة ملاحظات بالنسبة الى المريض الذي سيجري له العملية، بينما لم يشر الى ذلك النهار الذي امضياه معاً، ولم تكن هي تتوقع منه ذلك، على كل حال.

غادر غرفة العمليات حال انتهائه من العملية، بينما انكبت هي وبقية الممرضات اللاتي عملن معها، على إعادة تنظيم الغرفة وإعدادها لعملية قادمة مرة اخرى، وتحدثن اثناء ذلك، عن ساعات فراغهن وعند ذلك علمت اوجيني ان بديلتها ستصل بعد أيام قليلة. فلماذا لم يخبرها الطبيب ريجنما بذلك، إذن؟ ومن المؤكد انه اول من يعلم هذا؟ وتساءلت عما إذا كان عليها الذهاب الى رئيسة الممرضات للاستعلام عن هذا.

بعد ذلك ذهبن الى قاعة الطعام حيث تناولن وجبة متأخرة إذ أنه كان لديهن فراغ بعد الظهر، وإذ تعلم الآن ان عودتها الى انكلترا باتت قريبة فقد قررت ان تخرج لشراء هدايا تأخذها معها.

كانت قد اشترت كل حاجياتها من ملاعق قهوة فضية صغيرة غاية في الرقة، لأجل أمها، وعلبة سيكار لأبيها هو نادراً ما يدخنه ولكنه يحب وضعه على مكتبه، هدايا صغيرة لمختلف الاصدقاء... وكانت تسير في الشارع عندما تلاقت وجها لوجه مع سافيرا التي مدت يدها توقفها مما أثار دهشتها.

«اوجيني، ما اجمل ان اراك، وبما انني كنت انوي تناول فنجان من الشاي، تعالي معي ارجوك، فأنا لا احب تناوله وحدي.»

www.alkottob.com

كانتا على مرمى حجر من من المقهى الذي سبق وكانت اوجيني فيه وها هي ذي سافيرا الآن تحثها على العودة إليه معها.

«ولكنني يجب ان استلم عملي بعد ساعة...»

قاطعتها سافيرا:«ان تناول الشاي لن يأخذ منك نصف هذا الوقت. والمستشفى لا يبعد عنك سوى دقائق معدودات مشيا.»

فلم تشأ إن تكون فظة معها كما انها لم تستطع ان تجد سبيلا للهرب، وهكذا سمحت لها بأن تجرها الى المقهى.

ابتدأت سافيرا تتكلم عن هذا وذاك وهي تسرف في الابتسام والتظرف ما جعل أوجيني تتساءل عن السبب، هل ان سافيرا قررت اخيرا ان أوجيني لا تشكل اي تهديد لمستقبلها، ام ان ايديريك طلب منها ان تكون اكثر تأدبا؟ وأخذت تجيب على كلمات سافيرا بأجوبة مناسبة وحيث انها لم تكن تثق فيها على الاطلاق، فقد اعدت نفسها لأي مفاجأة قذرة منها.

وكان هذا شيئا حسنا حقا، فبعد الفنجان الثاني من الشاي قالت سافيرا بمودة بالغة:«حسنا، لقد حددت اخيرا يوم زفافنا،انا وايديريك.» وأخذت عيناها الزرقاوان تبحثان في ملامح اوجيني عن أي اثر لذعر او هلع، ولكنها لم تر شيئا، فتابعت تقول:«انني اعرف ان هذا سيسرك، فهو يلح عليّ منذ شهور... منذ عقدنا الخطبة، ولكنني كنت بحاجة الى مزيد من الوقت...» وتنهدت بشكل مسرحي مخيف، ثم تابعت:«وذلك رغم كل تعهداته ووعوده الجادة.»

وأطلقت ضحكة رنانة:«ثم اخذ يطلب الزواج ويلح في ذلك على الدوام، وكنت انا اطلب منه ان ينتظر...»

وسكتت لحظة ثم تابعت:«ثم، في ذلك النهار الذي تملكني فيه الاستياء لأنه امضاه معك، قلت له انني لا اسمح له ابدا بأن يمضي الأيام مع نساء اخريات، عند ذلك ضحك، هل يمكنك تصور ذلك؟ لقد قال لي: كنت بحاجة الى القيام بشيء متطرف عنيف، اردت ان اجعلك تغارين. وكانت أوجيني متفرغة من العمل، فخرجت معها.»

قاومت اوجيني رغبة عنيفة في ان تميل على المائدة وتصفع وجه سافيرا، ولكنها كبحت مشاعرها جيدا. وقالت بسرور:«لقد أمضينا معا يوما جميلا جدا. انا على الأقل، استمتعت به الى حد كبير وبما ان ايديريك كان قد دعاني لمثل هذا السبب الحسن، اتوقع أنه وجده محتملا.»

وابتسمت:«ومع هذا من الصعب عليّ تصديق ذلك، فأنا لم اعرفه إلا رجلا نزيها.»

وضعت سافيرا فنجانها على المائدة بشيء من العنف:«ألا تصدقينني؟ اتحبين ان اواجهك به لتسمعي ذلك منه؟»

«كلا بالطبع، فهذا لا يهمني اطلاقا.» وكان صوت اوجيني بحلاوة السكر، «انني واثقة من ان ايديريك يستحقك.» وكانت ابتسامتها نموذجا للحلاوة. «يجب ان اذهب الآن وإلا تأخرت عن عملي. شكرا لهذا الشاي. من المحتمل الا نرى بعضنا مرة أخرى، فأنا سأعود الى بلدي بعد يوم او يومين كما سمعت.»

وبما ان المصافحة هي علامة التهذيب، فقد مدت اوجيني

www.alkottob.com

يدها تقبض على يد سافيرا ذات القفاز المخرم الرقيق، وذلك بشدة جعلتها تجفل، وكان طريق العودة الى المستشفى اقصر من ان يبدد غضبها.

لم ترِ الطبيب ريجنما في اليوم التالي، وكان هذا شيئا جيدا إذ انه منحها وقتا تتمالك فيه مشاعرها وترسم على وجهها الهدوء، لقد شعرت بالسرور عندما ابلغتها الممرضة كورسما ان بديلتها ستصل بعد يومين، قائلة:«إذن، فستعودين الى انكلترا؟ سنشتاق اليك.» وكان هذا يعتبر من جانبها مديحا جما.

في الصباح التالي، اجرى الطبيب ريجنما عملية وصل شريان. وتعقمت أوجيني كالعادة، ووقفت بين المناضد التي تحمل صواني الادوات، منتظرة حضور الجراحين الى غرفة العمليات، حياها الطبيب ريجنما وهو يحدق فيها من فوق لثامه، فردت على تحيته بهدوء تام، ثم تبادلت بضع كلمات مع الطبيب فان غروت والتي كانت عادة، تشعر بانسجام عملي معه، ثم انحنت على عملها بهدوء تام. وبعد العملية، قال لها الطبيب ريجنما وهو على وشك مغادرة الغرفة، انه يريدها لعدة دقائق.

تبعته الى مكتب الممرضة كورسما، وسرها ان ترى ان تلك السيدة كانت هناك وقد بدا عليها انها تنوي البقاء، ولكن سرورها هذا تبدد عندما تمتمت الممرضة كورسما له بشيء ثم غادرت المكتب تاركة إياهما يواجهان بعضهما البعض.

«انك ستعودين الى بلدك بعد غد، يا اوجيني.»

تقابلت نظراتهما، وقالت بمرح:«آه، اعلم ذلك... لقد اخبروني هذا منذ يوم او يومين.»

«كان عليّ ان اخبرك بذلك بنفسي، ولكنني كنت مشغولاً جدا، ولا أدري إذا كنت تحبين ان تبقي عدة أيام اخرى، حيث ترين المزيد من غرونينجين وربما تزورين دنهاغ. إن بالإمكان تدبير ذلك.»

«بنفس الطريقة التي تدبرت فيها امر قضائنا ذلك اليوم معا. كلا شكرا.»

حدق فيها بنظرات عنيفة، قال:«ماذا تعنين بذلك؟»

«لقد عنيت ما قلته بالضبط... وهذه عادتي.» وفجأة فقدت اعصابها. وقالت:«ان عليك ان تشعر بالخجل من نفسك إذ تستغلني بهذا الشكل، فلو كنت اخبرتني بالسبب منذ البداية، لما اكترثت للأمر الى هذا الحد.»

قال بصوت خشن:«لا اظنني اعلم ما تتحدثين عنه.»

قالت شاعرة بالغضب:«كنت اظن اننا صديقين على نحو ما، ولكن هذا لم يكن صحيحا، أليس كذلك؟ وانا لا احب ابدا ان كوني استغللت...»

امسك بها من كتفيها:«ان ما تنطقين به كلام فارغ، ومن المؤسف وقتي اضيق من ان استطيع الوصول الى حل لهذه الألغاز التي تقولينها، يا أوجيني...»

«لا تتلفظ بإسمي. ابتعد عني، اذهب، لا اريد ان اراك بعد الآن.»

سألها وهو يضحك بازدراء يفصح عن غضبه الكامن:«يا لسوء الحظ ولو جاء مريض بحاجة الى عملية تجرى له، قبل رحيلك؟»

هتفت باشمئزاز وهي تدير له ظهرها.

في الصباح التالي جاءت حالة طارئة. كان رجلاً اصيب برصاصة في قلبه اثناء هجوم على مصرف،

www.alkottob.com

حضر الدكتور ريجنما وحياها بأدب بارد، وابتدأ بإجراء العملية، ثم شكرها في النهاية وهو يغادر غرفة العمليات، ولم تره بعد ذلك، بينما كان هو، في صبيحة رحيلها، يراقبها من النافذة وهي تستقل سيارة اجرة كانت ستقلها الى المطار.

الفصل الثامن

تركت اوجيني مطار هيثرو الى لندن ثم استقلت المطار الى اكزيتر حيث يستقبلها مات هناك ويأخذها الى بيتها، وعندما رأته واقفا على الرصيف في انتظارها، تلاشى شيء من شقائها. اخذها الى السيارة ووضع امتعتها في الصندوق، ثم جلس بجانبها.

سألها:«هل استمتعت بوقتك هُناك؟» وهكذا بقيت طوال الرحلة تخبره ماذا فعلت والى أين ذهبت، ولكنها لم تأتِ ابدا على ذكر الطبيب ريجنما، اما مات فلم يقل شيئا.

كان أبوها وأمها والكلب تايغر والهرة جميعاً في انتظارها على شرفة المدخل. ألحوا على مات بالدخول لكي يشرب شيئا، ولكنه هز رأسه رافضا وهو يقول ضاحكا:«لا بدٍ ان لديكم الكثير لتقولونه لبعضكم البعض. سآتي غدا مساء، كالعادة وسأتناول عند ذاك الشراب.»

بعد ان وزعت الهدايا، صعدت اوجيني الى غرفتها بحقيبتها، تناولوا العشاء على مهل تخبرهما بالضبط ما كانت قررت ان تخبرهما به، فلم تذكر الطبيب ريجنما إلا نادراً متجاوزة ذكر خروجهما معا.

وبعد ذلك بوقت طويل، قالت أمها لأبيها وهما يستعدان للنوم:«ان اوجيني لم تكد تذكر اسم إيديريك، لا أدري لماذا.»

اجاب:«ربما لأنها لم تره كثيراً خارج غرفة العمليات، يا عزيزتي.»

أنهت السيدة سبنسر تسريح شعرها وربطته بشريط

www.alkottob.com

وردي. لقد شعرت بأن ابنتها العزيزة غير سعيدة بالرغم من ثرثرتها المرحة ذلك المساء، ولكن إقناع الأب بذلك كان مضيعة للوقت، إذ أنه كان سيخبرها بطريقته الرقيقة بألا تكون واسعة الخيال.

استيقظت اوجيني مبكرة. وكانت الأراضي السبخة ممتدة امامها في ضباب الصباح الباكر، ولكن النظر إليها من خلال نافذتها لم يكن كافيا فنزلت بهدوء الى الطابق الأسفل حيث صنعت فنجان شاي وأطعمت الهرة سمارتي وأخذت تايغر معها، ثم خرجت. كان الهواء نقيا ويبشر بيوم دافيء، ولكنه كان ايضا مناسبا تماما للمشي السريع، وابتدأت السير بينما تايغر يروح ويجيء حولها متجاهلا الاغنام والحملان التي كانت تسير ببطء ترعى الحشائش.

كانت هذه فرصة ممتازة للتفكير، كما حدثت نفسها، إنما ليس بإيديريك... انها ستمضي اسبوعا او نحوه في البيت، وبعد ذلك تستلم وظيفة اخرى. ولكن أين؟ ليس بعيدا عن البيت. لقد تحسنت صحة أبيها، ولكنه كان دوما معرضا لنوبة اخرى، لقد زحل الاستاذ واطس، انما سيكون هناك استاذ آخر سيتسلم مكان أبيها إذا عاد إليه المرض، يجب ان يكون عملها في مكان تستطيع فيه ان تأتي الى البيت في إجازاتها الاسبوعية فيكون بإمكانها رعايته. حسنا، هناك عدة احتمالات.. اكزيتر، بريستول، بلايموث... وفي كل هذه المدن مستشفيات عصرية كبيرة، ولكن وظائف غرف العمليات لم يكن منالها سهلا، ولكن بإمكانها ان تحاول الحصول على عمل في اقسام الجراحة...

لقد هدأت اعصابها لمرأى الأراضي الشاسعة هذه، وعلى مائدة الإفطار بدت مشرقة الوجه وهي تستمع الى اقتراحات أبيها عما بإمكانها القيام به اثناء وجودها في البيت. ووافقته على آرائه ببشاشة وهي تعلن بأنها ستباشر البحث عن عمل آخر الاسبوع الجاري.

ومضى الاسبوع بسرعة. فكانت تساعد أمها في المنزل، وتزور المدرسة مكان أبيها، وتساعد في كشاف الأحد، وتأخذ أمها بالسيارة الى السوق للتسوق... كان هناك الكثير من العمل الذي يشغلها على الدوام ولكن كان هناك وقت تفكر فيه في ايديريك.

* * *

كان قد مرّ عليها في المنزل عشرة أيام، عندما زار الطبيب شاو أباها الذي استسلم كارها، لفحصه له. وما لبث، وقد سرته النتيجة وهي انه عاد رجلا صحيح الجسم، ان انضم الى زوجته وابنته والطبيب، لتناول القهوة معا.

سأل الطبيب شاو اوجيني:«ما الذي تنوين عمله؟»

اجابت:«حسنا، لا يوجد شيء في الوقت الحاضر، في هذا الجزء من العالم. انني لا اريد العمل في مكان بعيد عن البيت، فأنا احب العود إليه في إجازاتي الاسبوعية.»

سألها:«ألا تحبين ان تعملي في عيادة خاصة لاستشاري جراحة في توركواي؟ انها ليست في مستواك تماما ولكنها تسهل عليك القدوم الى بيتك، فهو جراح مشغول على الدوام، وجراحته عمومية غالبا، حاد الطبع قليلا كما اعتقد ولكن مرضاه يحبونه كثيرا.»

www.alkottob.com

«هل تعرفه؟»

«نعم، فقد قابلته عدة مرات، وهو رجل طيب. وكما قلت، العمل هذا ليس بمستواك تماما، ولكن بإمكانك التجربة عدة اسابيع.»

«كيف يمكنني معرفة المزيد عنه؟»

نهض الطبيب شاو يبغي الذهاب:«اكتبي إليه برغبتك بالإلتحاق بالوظيفة... اذكري له اسمي إذا شئت ثم اذهبي لمقابلته.»

كان في هذا بعض التغيير. فقد كانت تشعر بشكل ما، بالخوف من العودة الى المستشفى. فقالت:«سأكتب إليه، شكرا لإخباري عن هذا العمل، هل كان نشر اعلانا بهذا الخصوص؟»

«كلا، كلا، وإنما ذكره أمامي عندما رأيته في الاسبوع الماضي.»

ولكن هذا لم يكن صحيحاً تماماً، ولكنه لم يشأ ان يخوض في أمر المكالمات الهاتفية والرسائل التي تبلورت بينه وبين الطبيب ريجنما تير ساليس. فإذا كان هذا الأخير متلهفا الى ان تحصل اوجيني على عمل يناسبها في اقرب وقت ممكن، وقريبا من بيتها، فهو لم يجد ما يدعوه الى مناقشة هذا الأمر، وقد بدا الطبيب ساوبير راضيا تماما على هذا التدبير والذي سيكون مناسبا تماما لأوجيني التي كان يكن لها المودة.

وقال ينصحها:«اكتبي إليه سطرين.»

ففعلت، وعندما اخذت موعداً بعد أيام قليلة، قادت سيارتها الى توركواي. خلال المدينة، ثم ابتعدت عن البحر لتدخل شارع عريض قامت الاشجار حوله، وخلفها

قامت بيوت فخمة مبنية بالقرميذ على الطراز الفيكتوري، فسارت ببطء تنظر الى البيت المنشود. اوقفت السيارة، وصعدت الممر القصير، ثم قرعت الجرس.

ادخلتها امرأة مسنة ترتدي ثوب عمل الى غرفة جلوس صغيرة، طالبة منها الانتظار. كانت الغرفة خالية ولكنها بعكس اكثر غرف الانتظار جميلة مشرقة، قد رصت المجلات بعناية على المنضدة في الوسط وكانت جديدة تقريبا. وكان هنالك أزهار على رف كتب هناك، كما كانت الأرض مفروشة بسجادة تمتد من الجدار الى الجدار. وتساءلت عن الطبيب ساوبير اي نوع من الرجال هو...

لم يكن كما توقعته، فقد هب واقفاً من خلف مكتبه حال دخولها عليه، وهو يمد يده مصافحا. كان رجلا قصير القامة ممتلىء الجسم ذا شاربين كبيرين وشعر أحمر قد ابتدأ يخف في مقدمة رأسه، الى عينين زرقاوين باهتتين تحت حاجبين كثين، ووجها مستديرا باسما.

قبضته قوية وصوته عميقا وهو يقول:«انك الآنسة اوجيني سبنسر التي نصحني بها الطبيب شاو الطيب. اجلسي لكي نتبادل الحديث. ان لدي رسالتك هنا في مكان...»

اخذ يبحث في كومة من الاوراق على مكتبه، ثم عاد يقول:«لم اجدها حاليا ولكن هذا غير مهم، فقد كانت، وشهاداتك ضمنها، مرضية تماما. متى يمكنك البدء بالعمل.»

لم تكن تتوقع هذا، وقبل ان تجيب، تابع يقول:«ان ممرضتي سترحل آخر هذا الاسبوع... لتتزوج.»

www.alkottob.com

ووضع نظارات قديمة الطراز على عينيه، وحملق فيها ثم قال:«انك جميلة جدا... اظنك ستتزوجين انت ايضا.»
قالت:«انا لا افكر في الزواج، دكتور ساوبير، وبإمكاني القدوم في الوقت الذي تريدني فيه. هل بإمكاني ان اعرف المزيد عن عملي هنا؟»
«هذا عظيم. تعالي صباح السبت وابدإي العمل. انني استقبل المرضى بين التاسعة والعاشرة كل صباح، ثم أذهب الى المستشفى حتى الساعة الواحدة او الثانية بعد الظهر، وغالبا ما يأتيني مرضىعند المساء. لك إجازة نصف نهار يوم الخميس لأن لدي، عند ذلك، عيادة خارجية للمرضى في المستشفى... ثم نصف نهار آخر يوم السب، وكل نهار الأحد. يمكنك ان تذهبي إلى... هل لديك سيارة؟»
«نعم نعم، لديّ سيارة. هل بإمكاني استلام الغرفة التي تسكن فيها ممرضتك؟»
«انها تسكن مع أمها. ولكنها تعرف إمرأة...» وأخذ يبحث بين الاوراق مرة اخرى ليخرج ورقة قرأ فيها:«السيدة بروبير، تسكن عند الزاوية فوق متجر للورق، وهي ستكون مسرورة لحصولها على مستأجر. الافضل ان تذهبي لرؤيتها قبل عودتك الى بيتك. هل اخبرتك عن راتبك؟ كلا؟»
وذكر لها رقما اعتبرته ممتازاً بينما تابع قائلاً:«سأسجل كل شيء كتابة. لن يكون ثمة عقد بيننا وإنما هناك شهر إنذار بيننا إلا إذا حدث شيء غير متوقع.»
وقد يعني هذا أي شيء.
وافترقا كأحسن صديقين، توجهت هي الى البحث عن

منزل السيدة بروبير، بينما أمسك هو بالهاتف ليتصل بصديقه القديم ايديريك ريجنما تير ساليس.
كان هناك باب جانبي بجانب متجر الورق خلفه سلم شديد الانحدار. صعدته اوجيني، ثم قرعت الباب الذي في نهايته لتفتح لها امرأة صغيرة الجسم تحمل بين ذراعيها هرا كبيرا.
«هل انت الشابة التي ستعمل عند الدكتور ساوبير؟ ادخلي. كنت انتظرك.» وابتسمت لها. «انها غرفة صغيرة وبإمكانك ان تتناولي هنا طعام الافطار والعشاء.»
وسارت امامها الى ردهة ضيقة تنتهي بغرفة، كانت صغيرة قطعا، ولكن فيها نافذة عريضة تشرف على حديقة مهملة، كما كانت مؤثثة جيدا وغاية في النظافة.
سألت اوجيني عن الأجرة، ثم اخبرتها برغبتها في الإستئجار.
قالت السيدة بروبير:«هذا يناسبني، يمكنك ان تأخذي المفتاح، انما لا اريد اصدقاء من الرجال، اياك. لا اريد شبانا داخلين خارجين في كل ساعة.»
فقالت اوجيني بنعومة:«ليس لدي اصدقاء رجال.»
«لا بد ان يكون لك ذلك، فأنت جميلة وليس فيك عيب.»
عادت اوجيني الى بيتها وقد تشابكت افكارها بين وظيفتها الجديدة وبين إيديريك. وحدثت نفسها بأنها ستنساه حالما تبدأ في العمل من جديد، ولكن حتى ذلك الحين، لم يكن ثمة ضرر من العودة الى التفكير في كل لحظة كانا فيها معا، والاشياء التي قالها لها، وفقدانها المؤسف لاعصابها، كان من الافضل لو انهما افترقا كصديقين حميمين.

www.alkottob.com

استقبل والداها خبر وظيفتها الجديدة بالسرور وقالت أمها:«ما أجمل ان تأتي الى البيت في إجازاتك الأسبوعية.» بينما نظر إليها ابوها قائلا:«سيكون بإمكانك ان تعودي للإشراف على كشاف الأحد، يا عزيزتي.»

فوافقته على ذلك ببشاشة. سيصبح بإمكانها ملء الفراغ الذي تركه ذهاب إيديريك، وكشاف الأحد سيساعدها على ذلك.

استقلت سيارتها الى المدينة حيث اشترت ملابس تمريض من قماش النايلون وحذاءً مناسبا. وبما ان الامسيات ستكون طويلة، فقد صممت على الذهاب في نصف يوم الإجازة، لشراء صوف للحياكة وأشياء لغرفتها لتشعر فيها بأنها ملكها. كان لديها راديو صغير، وزهرات قليلة وكتب مما سيجعل المكان يبدو جميلا مريحا تماما، وحزمت امتعتها وذهبت في نزهة مع الكلب باكرا صباح السبت، ثم حيّت والديها قبل ان تستقل سيارتها الى توركواي.

طلب إليها ان تذهب الى عيادة الدكتور ساوير بعد ظهر السبت لكي تأخذها الممرضة التي ستترك العمل بجولة حول غرفة الكشف، ثم مكتب الاستقبال ثم الغرفة الصغيرة في الخلف حيث بإمكانها صنع الشاي والقهوة، وأن تحفظ الملفات وتعقم الأدوات التي سبق استعمالها.

كانت الممرضة حلوة ودودة. وقد قالت لها:«انها وظيفة جيدة. وأنا هنا منذ ثلاث سنوات. لقد اردت ترك العمل منذ شهور، في الواقع، ولكن الطبيب ساوير كان لا

يفتأ يطلب مني الإنتظار قليلاً، الى ان اخبرني فجأة، في الاسبوع الماضي، انه وجد ممرضة مناسبة بدلاً مني وأن بإمكاني ترك العمل. لقد كانت مفاجأة في الحقيقة، إذ جاءت بمثل هذه السرعة، ولكنني مسرورة بالطبع. إنه رجل طيب ولكنه حاد الطبع احيانا، فلا تهتمي بذلك.»

اجابت اوجيني وهي تتفحص محتويات الخزائن والأدراج وملفات المرضى التي تعلو الرفوف، انها لن تهتم.

تناولت عشاءها في المطبخ الصغير المشرق، وذلك مع السيدة بروبير، وقد اقتسمتا بالتساوي قطعة مشوية من لحم خروف، وكذلك الخضر بينما جلس الهر عند قدميها.

قالت السيدة بروبير:«ان موبسي مولع بأكل قطعة طيبة من لحم الخروف.» وأومأت برأسها راضية عندما فهمت اوجيني الإشارة، فأزاحت جانبا قطعة من حصتها لأجل الهر.

قالت لها السيدة بروبير:«انتبهي الى أنه لن يكون بإمكاني تناول عشائي معك في الامسيات... فأنا احب ان آكل في منتصف النهار. فأخبريني عندما تعودين كل مساء لأطهو لك طعامك، ثم تأكلينه في صينية في غرفتك. وعند الإفطار سأكون هنا. فالإفطار سيكون في الثامنة صباحا، وستجدين عشاءك، مساءً، في الفرن. ويمكنك ان تجلسي في الغرفة الأمامية، فعندي تلفزيون.»

وفي اليوم التالي، خرجت أوجيني تتمشى على شاطىء البحر، حيث تناولت غداء خفيفا في مقهى صغير مزدحم قريب وهي تفكر بشوق في قريتها دارتمور.»

www.alkottob.com

عندما جاء صباح الاثنين، شعرت بالسرور للذهاب الى العيادة الإستشارية. كان هناك موظفة استقبال لجزء من النهار هي الآنسة باركس والتي كانت تقارب الخمسين من عمرها. وكان يبدو عليها طابع عدم الرضا تقريبا، وأحست اوجيني ان الآنسة باركس لن تحبها مع انها لم تعرف السبب. واستمعت بأدب الى ملاحظات المرأة هذه، قبل ان تنصرف الى واجباتها الى حين وصول الطبيب ساوبير وابتداء عمل الصباح.

مر اليوم الأول بشكل حسن تماما، ولكنها لم تكن مسرورة من الآنسة باركس إذ امتنعت هذه عن تقديم أي نصيحة او معلوماتٍ تسهل عليها عملها، ولكن الطبيب ساوبير كان رئيساً يسهل التعامل معه إلا إذا احتد طبعه. وكان واضحا ان المرضى كانوا يحبونه، وعندما ذهب آخر مريض، تناول قهوته اثناء اتصالاته الهاتفية واملائه رسالة او اثنتين، ثم اخبرها عما ستجهزه لأجل مرضى بعد الظهر متمنيا عليها تنظيم مكتبه إذا كان لديها وقت.

ادهشها هذا كثيراً الى درجة اخذت تحدق فيه لحظة، فقال بصوت خشن:«نعم، اعلم بأننا، عادة نعمل على مكاتب تعمها الفوضى، أليس كذلك؟ ولكن هنالك بعض الاوراق في مكان ما... وليس عندي وقت للبحث عنها... وهي تتعلق بالسيد هاري داوس والسيدة ويذربي اللذين سيحضران بعد ظهر هذا اليوم... فكوني فتاة طيبة وفتشي عنها.»

وعند عودته، كانت قد فرزت الأوراق ونظمتها وقد وضعت الاوراق الضائعة امامه على المكتب لكي يراها اول

وصوله، ولأنه تأخر، فقد امضت نصف ساعة تطمئن اول مرضاه الى أنه سيصل في أسرع وقت ممكن.

جلس الى مكتبه، ورأت هي وجهه المتعب، فقالت:«سأحضر اليك فنجان قهوة. هل فاتك غداؤك، يا سيدي؟»

«لقد اخرني عن ذلك العملية التي قمت بها.»

«ألم تتناول غداءك؟»

«كلا. هل جاءت السيدة ويذربي؟»

«نعم، انها في غرفة الانتظار. ان انتظارها خمس دقائق اخرى لن يؤثر عليها، سأصنع لك شطيرة.»

اومأ شاكرا وهو يفكر في ان كلام إيديريك صحيح، فهي ليست جميلة فقط وإنما ذكية ومتزنة ولا تضيع وقتها بالتفاهات.

أكل شطيرته، وشربَ قهوته، ثم طلب منها ادخال اول مريض.

مر الاسبوع بسرعة، ووجدت اوجيني العمل ساراً وأقل مسؤولية وإرهاقا من العمل في غرفة العمليات. الامسيات فقط كانت موحشة، وكانت قد ذهبت تتمشى في اول مساء لها ولكن المدينة كانت مزدحمة بالزائرين وسرعان ما اكتشفت انها كانت معتبرة صيدا جميلا لأي رجل كان يبحث عن رفيقة، وهكذا اخذت تتناول غداءها على صينية في غرفتها عندما تكون السيدة بروبير في المنزل، وعندما كانت خارج المنزل، كانت تتناوله في المطبخ بصحبة الهر.

في إجازة نصف النهار، ابتدأت تحيك جوربين لوالدها، لفصل الشتاء، كما انها اخذت تقرأ بكثرة، وكانت تستيقظ مبكرة ثم تخرج لنزهة سريعة في الشوارع قبل الإفطار.

www.alkottob.com

وكانت تشعر لهذا، بسرور كبير. فقد كانت الشوارع خالية لا ترى فيها سوى بائعي الحليب وموزعي البريد، وأثناء ساعة الغداء كانت تشتري شطائر وعلبة حليب ثم تذهب الى حديقة صغيرة عمومية غير بعيدة، وكانت الآنسة باركس تبقى حيث هي فتتناول طعامها وتشرب الشاي التي تصنعه لنفسها. ولم تكن اوجيني لتمانع في تناولها طعامها معها لو ان هذه طلبت منها ذلك، ولكن الآنسة باركس كانت قد بادرتها بالقول ان الممرضة السابقة كانت تذهب لتناول غداءها في منزلها.

كان الوقت بعد الواحدة بعد الظهر من يوم السبت عندما انهت تنظيم العيادة ثم خرجت مسرعة الى غرفتها في منزل السيدة بروير لكي تبدل ملابس ثيابها، فارتدت ثوبا قطنيا وعلقت حقيبتها في كتفها، ثم نزلت الى سيارتها التي كانت اوقفتها بجانب المتجر، لتستقلها عائدة الى بيتها دون إضاعة لحظة واحدة.

قفز قلبها سروراً وهي تتوجه نحو الأراضي السبخة الشاسعة، كانت القرية هادئة وقد غمرتها اشعة شمس العصر، ولكن لا بد أنهم سمعوا صوت سيارتها تصعد التل، لأن والديها، وكذلك الكلب تايغر والهرة سمارتي كانوا جميعا واقفين عند الباب في انتظارها.

قالت والدتها على الفور: «سنتناول الشاي خارج المنزل، أليس كذلك؟ اصعدي بأشيائك الى غرفتك يا عزيزتي بينما اضع انا إبريق الشاي على النار. آه، ان هنالك رسالة لك قد وضعتها على منضدة الردهة، انها من هولندا.»

اندفعت اوجيني الى الردهة وقد شحب وجهها فجأة.

انه إيديريك. لقد كتب إليها... ربما هو قادم... عشرات الخواطر أندفعت الى ذهنها. فالتقطت الرسالة لترى على الفور انها من الممرضة كورسما.

كانت خيبة أملها عظيمة الى حدٍ أوشكت فيه على الانفجار بالبكاء، والذي كان امرا سخيفا، كما حدثت نفسها بعد لحظة، ما الذي يجعله يكتب إليها، على كل حال؟ وما هذه الحماقة منها التي تجعلها تفكر في انه سيقوم بذلك؟ في حين أنه لا بد قد نسيها الآن. وعادت ببطء والرسالة بيدها، «انها من ممرضة العمليات في غرونينجن، سأقرأها الآن.»

كانت تتكلم بوجه مشرق غير طبيعي ما جعل والدتها تعاود النظر إليها وقد تكهنت انها ليست الرسالة التي كانت ابنتها تتمناها لم تكن على عادتها وذلك منذ عودتها من هولندا، نعم، انها ما زالت بشوشة الوجه كعادتها، ولكنها اصبحت ميالة إلى الاستغراق في فترات طويلة من الصمت... وأخيراً قررت الأم ان ابنتها مغرمة... وبإيديريك... ولكن لماذا لم يقع في غرامها هو ايضا؟

قررت ان تعثر على جواب وذلك اثناء وجودها بينهم. ولكن اوجيني لم تشأ الافصاح، فكانت تراوغ أمها بدهاء إذ كانت تنخرط في وصف المستشفى والعمل، كلما وجهت إليها والدتها سؤالا، وحدثتها عن رحلتها الى ماديرا ايضا، ولكنها لم تتكلم كثيراً عن رحلتها الى البوسنة ذلك لأنها وجدت من الصعب ان تتحدث عن ذلك دون ان تأتي على سيرة ايديريك.

عادت الى غرفتها في توركواي مساء الأحد بعد ان وعدت والديها بالعودة في إجازتها الاسبوعية التالية،

www.alkottob.com

فوجدت السيدة بروبير في الخارج وقد تركت لها ورقة على منضدة المطبخ تخبرها فيها انه يوجد لحم بارد وخضر مطبوخة في الثلاجة وصينية شاي جاهزة، وان بإمكانها صنع قهوة إذا شاءت.

تناولت عشاءها في المطبخ وهي تستمع الى الراديو وتطعم الهر معظم اللحم. فهي لم تكن جائعة بينما كان واضحا انه جائع تماما.

مر الاسبوع ببطء بالرغم من ان الطبيب ساوبير جاءه الكثير من المرضى حيث كانوا يتدفقون عند المساء بكل ما لديهم من مشاكل، ما كان يقتضي الكثير من الاتصالات الهاتفية وتقديم اكواب الشاي والقهوة للترفيه عنهم وإظهار المودة والتعاطف مع اقربائهم الخائفين عليهم. ولكثرة ما كان الطبيب ساوبير يظهر الكثير من الصبر تجاههم، فقد اصبح حاد الطبع مع نهاية الاسبوع، ولم تستطع هي ان تلومه حيث انه كان يعمل في المستشفى ايضا. وبالإجمال، فقد كانت مسرورة لامتلاء يومها بالعمل، اما الآنسة باركس فقد بقيت على نفورها الخفيف منها. ومع انها كانت تقوم بعملها بكل دقة، إلا أنها لم تتقدم، ولو مرة، للقيام بغير عملها الخاص بها، حتى ولو مجرد وضع إبريق الشاي على النار حين كانت هناك دقيقة فراغ تسمح بتناول فنجان من الشاي، ولكن أوجيني لم تهتم بذلك، فقد كانت تشعر انها محظوظة لعثورها على وظيفة قريبة من قريتها. كانت تركت العيادة متأخرة، وحيتها السيدة بروبير من المطبخ حين دخولها:«ان عشاءك جاهز. لقد تأخرت قليلا.»

«لقد كان اسبوعاً حافلاً بالعمل، سأنزل لآخذ صينية عشائي بعد دقيقة.»

ابتدأت بتناول السجق، وحيث انها لم تكن فكرت في إيديريك طوال النهار، فقد ابتدأت في التفكير فيه الآن. وانتبهت من افكارها على همهمة اصوات، ثم قرع صاحبة البيت على بابها قائلة:«لقد سبق ونبهتك الى انني لا اريد اصدقاء رجالا هنا، يا آنسة سبنسر، ولكن بما ان هذا السيد هو طبيب وصديق السيد ساوبير فلن اقول شيئا.» ووقفت جانبا لكي يتمكن الطبيب ريجنماتير ساليس من الدخول.

شهقت اوجيني وقد جمدت يدها التي كانت تحمل قطعة السجق بالشوكة وترفعها الى فمها، لتقول:«ليس لديّ اصدقاء رجال يا سيدة بروبير.» ولكن صوتها لم يكن ثابتا تماما بعد إذ تسمرت عيناها على وجه ايديريك الذي كان يكسوه الهدوء الى شيء من الهزل.

قال برقة:«انني شاكرة لك لطفك، يا سيدة بروبير، فقد كنت والآنسة سبنسر نعمل معا ويبدو انها فرصة رائعة إذ أراها اثناء وجودي في انكلترا.»

أومأت السيدة بروبير:«بما انك طبيب...» ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها.

تقدم نحو اوجيني التي قالت:«مساء الخير يا دكتور ريجنما تير ساليس.» وبدا قولها هذا سخيفا، ولكنه كل ما استطاعت النطق به.

«مساء سعيد، يا آنسة اوجيني سبنسر. وكذلك المساء جميل، أليس كذلك؟ ولكنني لست هنا للحديث عن الجو.»

www.alkottob.com

تركت قطعة السجق من يدها وسألته:«لماذا انت هنا؟»
«اريد ان اطمئن الى انك سعيدة. هل استطيع الجلوس؟»
«آسفة، تفضل بالجلوس. إني سعيدة جداً، وشكراً لك.» ووضعت الصينية جانبا وهي تتابع:«هل انت في المستشفى هنا؟»
«كلا، كلا، ان جورج ساوبير هو صديق قديم لي وليس عندي سوى يومين إجازة.»
«آه، فهمت. انك تقيم إذن في منزله؟»
«كلا.»
«كيف علمت اذن انني هنا؟ اظن انه ذكر اسمي امامك بالصدفة.»
«لم يكن به حاجة لذلك. فقد كنت اعرفك مكانك.»
نظرت إليه مستغربة:«كنت تعرف؟ كيف؟ وظيفتي هذه... هل دبرتها انت لي؟ هل جعلته يأخذني إليه. وهل ذلك لتريح ضميرك فقط؟» وشحب وجهها لشدة الغضب.
لم يهتم لغضبها هذا:«نعم، كنت انا من اقترح عليه اسمك. فقد كان ذكر لي أنه يبحث عن ممرضة. كلا، فلنكن صادقين مع بعضنا، لقد ابتدأت انا بسؤاله عما إذا يعرف وظيفة مناسبة لك فأخبرني انه يبحث عن ممرضة.» وابتسم لها، «اردتك ان تكوني في مكان استطيع معه انت اسمع اخبارك من وقت لآخر.»
حاولت ان تجد جوابا لهذا فلم تستطع، فسألته:«اتريد قهوة؟ وأظن ان عليك ان تذهب بعد ذلك.» وأخذت ملعقة وبدأت تحرك بها حلوى الكاسترد مرة بعد مرة حتى شوهت مظهرها، فوضعتها جانبا.

قال:«فكرت ان نخرج لتناول العشاء معاً. هذا إذا استطعنا إخفاء ذلك الطعام الذي على الصينية.»
كانت قد تغلبت على دهشتها الآن، فقالت:«كلا، اشكرك، فلدي عشائي هنا... وفي الواقع لا احب الخروج معك، وكذلك لا احب رؤيتك مرة اخرى... ابدا.»
نهض قائلا:«في هذه الحالة، سأقول لك وداعاً، يا اوجيني.» وابتسم... ولم تكن ابتسامته حلوة كما لاحظت، ثم مشى نحو الباب وهو يقول:«استمتعي بهذا السجق. وبينما انت تأكلينها، فكري في انني لست الاستاذ واطس بحيث يلقى بي جانبا وأطرد لمجرد حقد نسائي.»
فغرت فاها ناظرة إليه، وعندما وجدت ما تقوله كان الوقت قد فات. كان قد خرج.
لم تشأ ان تبكي. وسكبت فنجان قهوة مشيحة بوجهها عن السجق. كانت جائعة، ولكن ليس الى حد تأكل فيه هذا، وسرعان ما سمعت وقع خطوات السيدة بروبير، ثم قرعا على بابها.
أسرعت تلتقط الشوكة والسكين قبل ان تدخل هذه قائلة:«لقد ذهب. هل كنت تعملين لديه؟ انه يبدو طبيبا ماهرا حكيما، فقد وافقني تماما عندما اوضحت له انني لا استقبل اصدقاء رجالاً في هذا المنزل. حسنا، ما دام قد ذهب، فسأخرج انا لزيارة صديقة لي.» ووقفت عند الباب برهة. «إذا ذهبت الى سريرك فاقفلي الباب... فلن اعود قبل العاشرة والنصف.»
تمنت اوجيني لصاحبة البيت سهرة سعيدة ثم انتظرت الى ان سمعت الباب الخارجي يقفل، فنزلت بالصينية

www.alkottob.com

الى الطابق الاسفل حيث وضعت طعامها في كيس من البلاستيك، ثم عادت تحضر سترتها وحقيبة يدها. فقد كان هناك محل يبيع السمك والبطاطا المقلية على بعد خمس دقائق مشيا، هذا الى ان قلبها كان يتحطم، وكانت الآن جائعة. وعليها ان تأكل في المحل لئلا تشم السيدة برويير رائحة السمك عند عودتها، فتحس بجرح في مشاعرها.

انتظرت حوالي العشر دقائق لئلا تكون صاحبة البيت قد نسيت شيئا، وبعد ذلك خرجت من المنزل.

كان الطبيب ريجنما تير ساليس واقفا بجانب الباب متكئا على الجدار. فأمسك بذراعها وجعلها تسير في الشارع بكل حيوية ونشاط، وهو يقول:«كنت انظر في الانحاء هناك مقهى في الشارع التالي... هو يبدو انه لا بأس به، يمكننا تناول الطعام هناك.»

قالت له بحدة:«هل انت مجنون؟»

«كلا، كلا،ولا أنا الاستاذ واطس.»

قالت:«كفى حديثا عنه طوال الوقت. وكيف تجرؤ على ازعاجي بهذا الشكل؟»

سألها برقة:«ألم تكوني خارجة لتأكلي سمكاً وبطاطا مقلية؟ ربما سيجرح هذا مشاعر السيدة برويير.»

جمدت في مكانها قائلة:«آه، لقد نسيت الطعام على مائدة المطبخ...»

«عشاءك؟ دعيني آخذه عند عودتنا وسأتخلص منه.»

كانا قد وصلا الى المقهى، فتح الباب، لكنها بقيت مكانها وقالت بحزم:«انني كنت اعني ما اقول.»

«نعم، اعلم ذلك، ولكنني جائع ايضا، فهل لنا ان ندفن

خلافاتنا اثناء تناولنا الطعام؟ ليس بك حاجة الى الكلام، إنسي انني موجود هنا. هذا إلى أنه ليس أمامنا وقت كاف للحديث. متى ستعود السيدة برويير؟»

كان قد اجلسها الى مائدة بجانب النافذة في ذلك المكان الذي كان شبه مزدحم، فأجابت:«حوالي العاشرة والنصف، إنما قد تعود قبل ذلك.»

«في هذه الحالة، علينا ان نفكر في عذر ما... ولكننا سنكون في امان لمدة ساعة من الزمن.»

جاءت النادلة، وكانت امرأة في منتصف العمر:«لقد فرغ الدجاج، وكذلك السمك. عندنا سجق وعجة.»

فقالت اوجيني:«اريد عجة من فضلك، وسلطة.»

«اريد عجة وبطاطا مقلية وبازيلا من فضلك، بالإضافة الى عصير الليمون.»

كانت العجة جيدة بشكل مدهش، وأنهت اوجيني عشاءها بفنجان قهوة رافضة الحلوى، وأثناء ذلك اخذت تعد في نفسها كلمات الشكر له لدعوته هذه لها. وإذا به يقول لها بلطف:«لا تضيعي الوقت في التفكير بتقديم الشكر. فهي ستضيع في شخصي على كل حال. فإذا كنت انتهيت فسنعود حيث تعطيني كيس البلاستيك.»

بدا تصرفه هذا جافا الى درجة جرحت مشاعرها، وبعد، فقد كان لهذا الجفاء ان يكون من ناحيتها هي، وبقيت صامتة اثناء العودة وقد حل مكان الضيق وحدة الطبع، حزن لمعاملته العادية هذه لها. فهو حقا لم يأت إلا ليطمئن على ان لديها عملا جيدا وليس لسبب آخر. ولم تستطع ان تحدد بينها وبين نفسها أي سبب آخر قد يكون هناك.

www.alkottob.com

دخلا المنزل وقصدا المطبخ حيث اعطته الكيس قائلة:«اشكرك لهذا العشاء ولرغبتك من التخلص من هذا الكيس. ارجو انك تمضي وقتا سارا في لندن.» ودفعها دافع لأن تقول:«ارجو ان تكون سافيرا بخير.» «انها غاية في الحيوية والنشاط.»

لم تكن تريده أن يذهب، وهذه المرة سيكون رحيله نهائياً. فقد أرضى نفسه في أنها قد استقرت الآن في عمل، وهكذا سيكون بإمكانه العودة الى غرونينجن ليتزوج. فهو إذا لم يخرج بسرعة فستنفجر بالبكاء...

قالت له وداعا، ثم سارت تفتح الباب وتمسكه بيدها تنتظر، فإذا قال الى اللقاء فمعنى ذلك أنها ستراه مرة اخرى. ولكنه قال بلهجة عادية:«وداعا، يا اوجيني.» ثم حمل الكيس، كان الهر واقفا امام الثلاجة بشكل ذي معنى، فأخرجت له طعامه ووضعت أمامه، وكانت الدموع تنحدر على وجنتيها فمسحتها بأصابعها ثم صعدت الى غرفتها واغتسلت وهي ما زالت تبكي، فهذا هو المكان الوحيد الذي يمكنها البكاء فيه بحرية. ثم أوت الى سريرها وأغمضت عينيها وهي تتمتم:«لقد كنت حمقاء يا اوجيني، ولن يستمر هذا الهراء بعد الآن.»

الفصل التاسع

كانت اوجيني تظن ان صورة ايديريك ستتلاشى من ذهنها مع مرور الأيام. ولكن هذا لم يحدث. لقد كانت تفكر فيه طوال الوقت رغم محاولاتها صرف ذهنها عنه. كانت نفسيتها مضطربة وأخذت تفكر جادة في تغيير اسلوب حياتها كليا وذلك املا من ان تنساه. ولو كانت حرة فيحياتها لفتشت عن وظيفة تبعد عن مكانها هنا آلاف الأميال... استراليا او كندا او أبعد مناطق اميركا الجنوبية.

لكن الطبيب ريجنما تير ساليس كان يعرف تماماً ما الذي سيقوم به بالنسبة الى مستقبله، وكان ذلك يتطلب صبرا وتخطيطا، بالطبع، وكان قادرا على هذين الأمرين، عاد الى غرونينجن ليستغرق في عمله دون استثناء أي شيء آخر. وعندما اخذت سافيرا تشكو من أنه لا يجد وقتا ليأخذها الى العشاء-او المسرح، قال لها ان عمله يأتي قبل أي شيء آخر، موضحا بعطف:«إنني اعرف كم هو مزعج هذا الأمر بالنسبة إليك. ولكن لا بد انك ادركت في بداية خطبتنا ان ليس لديَّ وقت كاف للحياة الاجتماعية التي تسيرين فيها.»

فقالت له بحدة:«ان عليك ان تغيّر هذا عندما سنتزوج. فأنا ارفض الخروج من دون ان ترافقني. لماذا لا تدع جراحا آخر يؤدي عملك؟»

نظر إليها بفضول قائلا:«هل انت جادة في كلامك هذا؟»

www.alkottob.com

«طبعاً انا جادة، فأنت ناجح وغني. ويمكنك ان تبقى استشاريا وتأخذ مرضى خصوصيين، ان ذلك يمنحك شيئا من الفراغ تستمتع فيه بالحياة.»

«انني استمتع بالحياة الآن. وطبعا عندما نتزوج يجب ان يكون عندي المزيد من الوقت اقضيه معك ومع الاولاد.»

«انني لا انوي ان ازعج نفسي بأنجاب اولاد في اول خمس او ست سنوات من زواجنا. مهما كانت المربية جيدة، فهم سيبقون مزعجين. بجانب ذلك، اظن ان علينا ان ننجب ولدا واحدا فقط.»

اخذا الطبيب ريجنما تير ساليس يتأمل اظافره وهو يقول:«انك تعلمين انني دوما كنت اريد أسرة كبيرة...»

عند ذلك صرخت به سافيرا:«لماذا لم اكتشف حقيقتك إلا الآن؟ رجلا انانيا مستبدا برأيه؟ ان في الحياة اشياء اكثر من مجرد العمل وتكديس الأولاد، وأنا انوي ان استمتع بالحياة...» وسكتت فجأة وهي ترى اللامبالاة الهادئة في وجهه، ثم عادت تقول:«يا عزيزتي ايديريك، ارأيت كيف جعلتني افقد اعصابي؟ يجب ان ترى الامر من وجهة نظري. انني شابة وجميلة وأحب قضاء اوقات طيبة بينما انت تريد ان تدفنني وانا على قيد الحياة أسهر في انتظار عودتك من المستشفى والأولاد حولي يصرعون رأسي بصراخهم. انك لا تريد أن تجعلني تعيسة، أليس كذلك؟»

قال بهدوء:«هذا آخر شيء أحب ان اقوم به.»

بدا في ابتسامتها الانتصار:«إذن، فابدأ الآن بأخذي للعشاء في الخارج...»

قطع رنين الهاتف كلامها، فمضى إليه يجيبه، ثم يقول

لها بهدوء:«انني مطلوب في المستشفى، وعليّ ان اذهب. هل اوصلك في طريقي ام اخبر جاب ان يحضر لك سيارة أجرة؟»

اجابت بغضب:«بل سيارة أجرة. ان بيي فان تويست سيكون مسرورا بأن يأخذني الى العشاء.»

في الاسبوع التالي، سافر الى روما، وبعد ذلك الى انكلترا. لم يكن ذهابه لرؤية اوجيني. كان يريدها زوجة له، ولكنه كان يريد ان ينتظر. كان يعرف ان سافيرا وقد واجهت حقيقة ما ستكون عليه حياتها كزوجة لجراح، لن تتزوجه ابدا، ولكنه كان يريد ان يتأكد من مشاعر اوجيني، كانت فتاة ذات كبرياء، ثم أنه رغم كونه لم يصدقها حين قالت له انها لا تريد رؤيته مرة اخرى ابدا، كان يريد ان يكون متأكدا تماما...

لم يكن قد مضى على عودته الى غرونينجن اسبوع بعد، عندما سافر الى شمال إيطاليا حيث كان هناك مستشفى استقبل مجموعة من اللاجئين. وبقي هناك عدة ايام، وعندما عاد الى بيته اخيرا، جاءت سافيرا لتراه. وكان عند عودته قد اغتسل وأخذ باتش الى الحديقة، ثم ذهب بعد ذلك الى غرفة مكتبه ليقرأ رزمة الرسائل الموضوعة على المكتب.

كان متعبا، وتمنى من اعماقه لو كانت اوجيني عنده ليتحدث إليها، متحدثا عن مرضاه، ذاكرا بعض الاجهزة الجراحية الجديدة. عندما قابل سافيرا لأول مرة، اخذت تتظاهر بالاهتمام بعمله، ولكن بعد عقد الخطبة اخبرته ضاحكة ان عليه ان ينسى عمله عندما يكون معها، كانت قد قالت له بدلال:«هل اقول لك الحقيقة؟ انني

www.alkottob.com

امقت الاشياء الكريهة وهنالك الكثير من المرح والتسلية يمكننا ان نستمتع به.»

ولأنه كان يظن نفسه مغرماً بها في ذلك الحين، حرص على ألا يأتي على ذكر كل ما يتعلق بعمله امامها، وإذا به بعد عدة أشهر فقط يدرك انه لم يقع في الغرام ابدا وعلى الأخص في غرام سافيرا. ولكنه عندما رأى وجه اوجيني الجميل يحدق فيه من خلال الضباب، ويسمع صوتها غير المتكلف، ادرك انها هي التي كان قد يئس، منذ وقت طويل، من العثور عليها، وكان في ذلك الحين خاطباً لسافيرا التي كانت تتظاهر بحبه، وكان هو رجلا شريفا ولم يدرك إلا حديثا ان سافيرا ابتدأت تقدم متطلبات بالنسبة الى مستقبلهما. لم تكن تريد السكن في غرونينجي، بل في بيت ريفي غير بعيد عن المدينة، بحيث يمكنها رؤية اصدقائها إذ تدعوهم الى قضاء إجازات آخر الاسبوع عندها. كانت تحب الرحلات الى باريس وجنوب فرنسا. وكان عليه ان يتخلى عن معظم عمل المستشفى ويرفض الذهاب الى انحاء اوروبا.

لم تتقدم بأي من هذه المطالب بشكل مباشر، بل كانت تتقدم باقتراحاتها هذه بكل رقة كلما كانا معا، وذلك بتلميح الى هذا او ذاك. وفي آخر مرة تقابلا فيها، كانت غاضبة، مما جعلها تفضح مشاعرها الحقيقية، لتعود فتحاول إخفاءها حين ادركت انها قد تمادت في الأمر. وهذا الرجل، بيي فان تويست هو رجل غني وسيم الشكل ويبدو انه من الثراء بحيث يستطيع العيش كما يهوى، وقد أتت سافيرا على ذكره عدة مرات مؤخراً... كان قد وصل الى مكتبه لتوه، عندما جاءت سافيرا،

دفعت جاب من طريقها ثم جلست على كرسي امام المكتب وهي تقول:«ها قد جئت إذن.» وأمعنت النظر في وجهه:«يبدو عليك التعب، ستصبح عجوزا قبل ان تدرك اين إنت، يا ايديريك، انك تقتل نفسك. وهذا محتمل جداً. ماذا يقول المثل الانكليزي (العمل دون لهو، يجعل المرء بليداً بطيء الفهم) وانت بليد بكل تأكيد، يا عزيزي.» ونظرت إليه مرة اخرى، ثم ضحكت بضيق وأضافت:«فكرت في ان علينا ان نتحدث، فهناك اشياء احب ان اقولها وربما كان عليّ ان اقولها منذ اسابيع. وهي اننا غير متلائمين، يا ايديريك، آه، اننا شخصان جميلان، ولديك منزل حسن... بل في الحقيقة باعتبار ذلك المنزل المدفون في البراري... كما ان لديك مالا كافيا يسمح لي بأن إعيش كما أهوى، انما فقط ليس في إمكاني ان افعل هذا، أليس كذلك؟ ان الحياة معك ستكون بليدة مظلمة...» وسكتت، ثم نظرت إليه لتشتبك نظراتها بنظراته الثابتة، ثم تتحول عنها بعد لحظة. ثم تقول بصوت عال قليلا:«إذا اردت الحقيقة، ان الضجر سيتملكني حتى الموت إذا انا تزوجتك.»

تكلم الطبيب ريجنما تير ساليس بهدوء ومع هذا كانت لهجته تنطق بالمودة:«في هذه الحالة، يا سافيرا ستكون آخر شخص يلزمك بتنفيذ عهدك. وأنا واثق من انك ستعثرين على الانسان الذي يمكنه ان يعطيك الحياة التي تتمنينها.»

«آه، لقد عثرت عليه. انه بيي فان تويست. انه مجنون بي...» وأضافت بدهاء:«ولكنك لم تكن كذلك ابدا...»

«انني أرى الآن انني لم اكن اصلح قط لأن اكون زوجاً

www.alkottob.com

لك، يا سافيرا. وأنا مسرور إذ اعلم انك ستكونين سعيدة في حياتك.»

«آه، ان ذلك ما لن اخطىء في الحصول عليه، اما انت فإنك ستبقى وتعمل على مدار الساعة واستطيع انت ارى مستقبلك خامداً مظلما.»

كان الطبب ريجنما تير ساليس من الدهاء بحيث اوماً يوافقها على رأيها بوداعة، ثم قال لها:«ارجوك ان تحتفظي بالخاتم.» كان خاتم الخطبة عبارة عن ماسة كبيرة كانت قد فضلتها على خاتم الأسرة المتوارث والذي كان عبارة عن ماسة نافرة قديمة الطراز وحجر من الياقوت الأزرق.

نهضت واقفة، فنهض هو ايضاً مستديراً حول المكتب، وكانت هي تقول:«انني ذاهبة لقضاء عطلة آخر الاسبوع يا إيديريك. لا تنس نشر خبر في الصحف عن فسخ خطبتنا. من المحتمل ان نلتقي احياناً من وقت لآخر.»

«طبعاً، وأنا اتمنى لك كل السعادة، يا سافيرا.» مشى معها الى الباب، وهو يقول:«هل ستذهبين سيراً على الاقدام؟ اتريدين ان اوصلك بالسيارة؟»

«ان بيي ينتظرني في موقف السيارات القائم آخر الشارع. الوداع يا إيديريك.»

وسرعان ما تبدد شعوره بالارهاق، فقام ليليتهم وجبة دسمة تحت نظرات جاب الذي كان لا ينفك عن النظر إليه، ثم لم يعد يستطيع البقاء في المنزل، أخذ يتمشى في شوارع المدينة. وباتش بجانبه. وعندما عاد الى المنزل، دخل جاب الى القاعة، قائلا:«هل احضر القهوة قبل ان تأوي الى فراشك يا سيدي...؟ لا بد انك متعب.»

«انني لست متعباً ابداً، ولكن مرحبا بالقهوة.» فذهب جاب الى المطبخ قائلاً لزوجته:«لا بد ان السيد قد سمع خبراً طيباً. فأنا لم أره من قبل بهذه البشاشة. نرجو ألا يكون قد صمم على الزواج، على الأقل ليس من خطيبته.»

وسكت لحظة، ثم عاد يقول:«تلك الفتاة الانكليزية التي كانت جاءت لتعمل في بلدنا هذه...» وابتسم لهذه الفكرة.

«انها سيدة طيبة تصلح له.»

قالت زوجته:«لكنها عادت الى انكلترا للأسف.»

قال:«ان الحب يذلل كل شيء.»

* * *

لم تكن اوجيني تعيسة في عملها. كما ان الآنسة باركس بقيت على عزلتها، وكان سلوكها يوحي بأن على اوجيني أن تتصرف كسيدة راقية... وعلى كل حال، فقد كان الطبيب، رغم حدة طبعه احياناً، رجلاً طيباً، وقد كان لديه من كثرة العمل ما يشغلها على الدوام عن مشاعر الأسى نحو نفسها، ولكنها كانت تتمنى احياناً، في الامسيات، لو انها في قريتها دارتمور ومعها ايديريك.

عادت إجازة آخر الاسبوع مرة اخرى، فعادت الى المنزل بعد الظهر مباشرة، لقد كان العمل كثيراً في الصباح ولكنها الآن متفرغة الى صباح الاثنين، ورأسها مليء بالخطط. فهناك وقت تأخذ فيه أمها للتسوّق إذا شاءت، ثم تناول الشاي وبعد ذلك التمشي قبل العشاء، اما الأحد فلا يتغير إنما صباح الاثنين يكون لديها وقت

www.alkottob.com

كافياً يمكنها فيه ان تدير غسالة الثياب قبل الذهاب الى عملها، إذ ان الطبيب ساوبير كان قد اخبرها ألا تذهب الى العمل صباح الاثنين قبل الحادية عشر حيث انه لا يأتي الى العمل قبل الظهر.

استدارت بسيارتها حول زاوية المنزل، ثم دخلت من باب المطبخ.

وجدت والدتها تصنع شطائر فرفعت وجهها تتلقى قبلة ابنتها على خدها وهي تقول:«لم اسمع صوت سيارتك، يا عزيزتي.»

قالت اوجيني:«هل تريدين الخروج للتسوق؟ لدينا الكثير من الوقت...» ووقعت عيناها على طبق الشطائر. «هل هناك من سيتناول عندنا الشاي؟»

اجابت والدتها باستسلام:«حسناً. ليس تماماً لقد جاء جوشا واطس للإطمئنان على صحة والدك، وأخشى انه مصمم على قضاء ليلته هنا.»

«أمي، كلا... لماذا لم يأت اثناء الاسبوع؟ هل سيتأخر؟»

«كلا يا عزيزتي، سيمضي الليل فقط. انه يريد ان يبقى لحضور كشاف الأحد، ثم يرحل بعد الظهر. حسنا، كان قال انه سيرحل عند العصر، ولهذا اظنه سيتناول معنا الشاي كذلك.»

ورأت الأم ملامح الاستياء على وجه ابنتها، فقالت:«كوني لطيفة معه، يا عزيزتي، ولا تجعليه يكدر أباك.»

«هذا صحيح. أليس هناك أندية للعب الورق او ما أشبه فنرسله إليها ليمضي المساء؟»

«كلا يا حبيبتي، ففي هذا الجو الرائع، كل الناس تخرج

من بيوتها... فنحن لا نفتح نوادي الالعاب والتسلية الا عند حلول الخريف.»

اخذت اوجيني تمسح قطع الخبز بالزبدة وتضم كل اثنتين معا قائلة:«لن اقص حوافي الخبز. انه يملك اسناناً في فمه.»

ضحكت الوالدة:«لا تجعلي الاستياء يستولي عليك يا عزيزتي. انني ادرك ان وجوده مزعج لك، ولكن هذا اليوم واحد فقط.»

«من حسن الحظ انني لن اعود للعمل قبل صباح الاثنين، ان لدينا مساء الأحد نستمتع به على الأقل.»

«نعم يا عزيزتي، انه في مكتب والدك منذ الغداء. هل يمكنك إبعاده من هناك لكي يتمكن ابوك من مراجعة كلمته التي سيلقيها غدا الأحد؟»

«طبعاً، سآخذه لنزهة على الأقدام. وتايغر سيسره هذا على كل حال.»

وقف الاستاذ واطس احتراماً عندما دخلت اوجيني مكتب ابيها. «ما اجمل ان اراك مرة اخرى.» وتقدم يصافحها.

قالت بلهجة عادية:«مرحباً، يا جوشا.» وهزت يده بحزم ثم تقدمت تقبل أباها قائلة:«هل انت مشغول بكتابة كلمتك؟ سآخذ جوشا للنزهة الى ان تنتهي من كتابتها.»

وافق الاستاذ واطس على كلامها بلهفة، وهكذا قادته الى الخارج من خلال باب المطبخ حيث صفرت للكلب تايغر، وغمزت بعينيها لأمها وهي تمر بها خارجة بخطوات سريعة نشيطة.

قال الاستاذ واطس وهو يحاول مجاراتها في خطواتها

www.alkottob.com

بصعوبة:«انّ الجو حار بالنسبة الى السير على الاقدام.»
«انك ستستمتع به بعد ذلك المكان الخانق الذي تسكن فيه.»
«حسناً، ان الهواء النقي شيء حسن، ولكن نقص اسباب الراحة...»
«اتعني الباصات والقطارات وصفوف المتاجر؟»
فوافقها على ذلك، بحماس:«نعم، نعم. هو ذاك. انني متأكد من انك سكنت فترة في مدينة كبيرة فستستمتعين بفوائدها.»
«حسناً، لن استمتع بذلك.» وألقت عليه نظرة. كان يبدو غاية في الرزانة. وتمنت ألا يكون قد ظن انها دعته الى هذه النزهة تشجيعاً له وتقرباً إليه.
ويبدو إن هذا ما ظنه حقا. لأنه تابع يقول:«ان لديّ منزلاً صغيراً جميلاً، وهو قريب جداً من المدرسة، وهناك حديقة عامة صغيرة تبعد عشر دقائق مشياً، فقط. وأظن انه ربما وجدت وقتاً تفكرين فيه بالأمر، يا أوجيني، ومن ثم تدركين اي مستقبل رائع سيضمنا معاً.»
سألته اوجيني:«لماذا تقول ذلك؟ لماذا علينا ان نسعد دوماً بذكرى هذا اليوم؟ فنحن لا نفعل سوى القيام بنزهة سيراً على الاقدام.»
«آه، هل تفهمين اللغة اللاتينية؟ كنت مستعداً لترجمتها لك.»
اجابت بخفة:«لا لزوم لهذا، ولعلك نسيت ان أبي هو عالم متمكن في اللغة اللاتينية.»
وأسرعت بخطواتها مرة اخرى، فأسرع وهو يجاريها

في ذلك، وهو يقول:«هل لي ان ارجو انك غيرت رأيك؟ انني على استعداد لأن اجعلك زوجتي...»
لم تشأ ان تجرح مشاعره. فقالت:«انك بالغ اللطف، ولكن هذا الأمر غير ممكن، فإنا لا احبك، يا جوشا، وإنني واثقة من انك ستعثر قريباً على فتاة تحبها وتحبك وتسعدان معاً.»
قال مفكراً:«نعم، هذا ممكن، طبعاً، ان لدي الكثير مما يمكنني تقديمه، كما انني رجل طموح.»
قالت:«اخبرني عن طموحاتك هذه؟» وهكذا اخذ يملأ اذنيها طوال طريق العودة، بأفكاره وخططه.
وفي المطبخ اخبرت أمها، وهي تساعدها في اعداد العشاء عن تكرار جوشا عرضه زواج بأفكاره وخططه.
«لقد أخذ يستشهد بأبيات من الشعر باللاتينية، عن وجوب تذكر هذا اليوم، بقلب سعيد. ولكنه لم يكن يعني ذلك حقا، وأظنه كان يحاول التأثير عليّ. لقد قدمت إليّ عدة عروض للزواج ولكن لم يكن بينها عرض نسيه صاحبه بسرعة، مثل هذا العرض.»
فقالت والدتها:«حسناً، ارجو لك حظاً احسن بالنسبة للعرض التالي لهذا، يا عزيزتي.» ونظرت الى وجه ابنتها بإمعان.
قالت اوجيني بشيء من السرعة:«آه، ولكنني افضل ان ابقى فتاة عاملة.»
رحل الاستاذ واطس نهار الاحد بعد تناول الشاي، مما لم يترك من تلك الإجازة سوى القليل، ولكنها تمكنت من الخروج في نزهة سريعة مع تايغر صباح الاثنين، ذهبت بعدها الى النزل الذي تقيم فيه ومن ثم الى العيادة،

www.alkottob.com

حيث حيتها الآنسة باركس على عادتها المتزمتة، ولكن الطبيب ساوبير كان بشوشا مرحا، وقد فاجأته ينظر إليها مرة او اثنتين وكأنما هناك ما يبعث التسلية في نفسه، وعندما احضرت له قهوته، سألها:«لقد نسيت تماما ان اسألك ان كنت رأيت صديقي القديم الطبيب ريجنما تير ساليس عندما جاء لزيارتي منذ فترة قصيرة. هل كنت تعملين لديه؟»

«نعم، هذا صحيح،، وقد رأيته، فقد جاء لزيارتي عند السيدة بروبير التي انزعجت لهذا. فهي لا تسمح بزيارة الرجال.»

فقال وهو يضع السكر في قهوته:«إنما لا بد انها سمحت له بالدخول.»

«نعم. لأنه صديقك، يا سيدي، وعضو في الهيكل الطبي.»

«إنني مسرور لسماع ان السيدة بروبير تعتني بنزيلاتها بهذا الشكل. هل انت مرتاحة هناك؟»

«نعم. شكرا لك.»

«انك تضيعين ايامك هنا، طبعاً. فإن فتاة يمكنها العمل كما عملت في البوسنة، تستحق وظيفة مستشفى درجة اولى.»

قالت:«نعم، ولكنني يجب ان اكون قريبة من والدي.» وأضافت بسرعة:«هل ان غير راضٍ عني يا دكتور ساوبير؟»

«آه، انا لم اقصد ان تفهميني بهذا الشكل فأنت احسن ممرضة عملت عندي. ويمكنك ان تبقي هنا الى الابد. ولكن على فرض انك تزوجت ماذا سيكون من امر والديك عند ذاك؟»

«حسناً، سوف اتزوج من رجل لا يمانع في ان ارعى والدي. ومن المحتمل ألا اجد مثل هذا الزوج.»

فقال الطبيب بلهجة عفوية:«آه، لا ادري. ادخلي إليّ السيد سيمونز لأفحصها، من فضلك.»

وضع الطبيب ريجنما تير ساليس خطته بنفس الدقة والعناية التي يظهرها في غرفة العمليات، وقد جعله الحب العميق يبذل قصارى جهده في ذلك، ولكن بما انه كان من الضروري ان ينتظر الى حلول إجازة نهاية الاسبوع، فقد تابع عمله في المستشفى بهدوء الى ان حل مساء الجمعة، حيث استقل سيارته وسار بها الى كاليه ومن هناك أبحر الى دوفر ومن ثم سار في الليل حتى وصل الى منزل الطبيب ساوبير في توركواي.

كان الوقت متأخرا، ولكن صديقه كان قد بقي مستيقظاً لاستقباله.

قال له صديقه:«لقد ارسلت زوجتي الى فراشها، انها امرأة لطيفة، كما تعلم، ولكنها تحب الثرثرة مهما كان الوقت متأخرا. اوجيني ستأتي الى العيادة في الصباح حيث تستعد للذهاب الى منزل السيدة بروبير بعد الظهر، طبعاً. من اين تنوي اخذها؟»

«من منزل السيدة بروبير. يمكنني وضع سيارتي في المنعطف حيث لا تبدو للعيان.»

اخذ الطبيب ساوبير يضحك بصوت خافت:«نرجو ألا تعيدك من حيث أتيت، يا ايديريك.»

«لن ادع لها مجالا لذلك.»

اسرعت اوجيني الى منزل السيدة بروبير ناوية الذهاب الى بيتها بأسرع ما تستطيعه. فغيرت ملابسها، ثم

www.alkottob.com

هبطت السلالم بسرعة واندفعت خارجة من الباب لتصطدم بصدر الطبيب تير ساليس. كان ذلك أشبه بالاصطدام بجذع شجرة.

قالت:«لهذا انت؟» لقد تملكها السرور لرؤيته، ولكنها اخذت تبحث عن كلمات جارحة تقولها له...

ابتسم قائلا:«انه في الواقع. هيا بنا، ان سيارتي هناك.»

«سيارتك؟ انني ذاهبة الى منزلنا بسيارتي.» فلم يهتم بكلامها وانما أمسك بذراعها يقودها بلطف الى سيارته البنتلي حيث اجلسها فيها.

سألته:«لماذا انت هنا؟» وأضافت بنزق:«اما كان يجب ان تكون سافيرا معك؟»

فضحك قائلا:«لماذا تفترضين ذلك؟ ان سافيرا حسب علمي، تمضي إجازة في جنوب فرنسا، ولكن بما اننا لم نعد مخطوبين، فأنا لم أعد اعرف اخبارها.»

«غير مخطوبين؟ لماذا حدث هذا؟ لقد كانت مناسبة لك تماما، آه، ارجو ألا يكون ذلك لأنكما تشاجرتما بسبب قولها لي انك كنت تريد ان تجعلها تغار.»

قال بلطف:«لم اتشاجر معها قط. وإنما كنت قد ادركت منذ زمن انني لن اتزوج سافيرا ابدا. وقد انتظرت الى ان توصلت هي ايضا الى نفس الاستنتاج. لقد رأت انني مشغول دوما، ودوما ارفض الذهاب الى حفلات ليس لها نهاية، وأريد من زوجتي ان تهديني مجموعة من الاولاد الأصحاء.»

قالت له مستفهمة:«ولكن ألم تكن تحبها؟»

«ربما كنت احبها قليلا ولكن ذلك كان مختلفاً كثيراً عن

الوقوع في غرامها، فأنا نادراً ما كنت افكر فيها عندما لا نكون معا، ومنذ ذلك الحين، اكتشفت ان الشخص عندما يكون مغرما حقا، فإن أفكاره لا تبارح شخصية محبوبه.»

«لماذا تخبرني بكل هذا؟ ألم أقل لك انني لا اريد ان اراك مرة اخرى؟»

«انني أمهّد الطريق لما سيأتي.» وأبطأ من السير، ليقف على جانب الطريق المعشوشب، ثم استدار ينظر إليها قائلا:«هل كنت تعنين حقا انك لا تريدين ان تريني مرة اخرى، ام انه مجرد كلام؟ هنالك فرق بين الاثنين.»

اشتبكت عيناهما، لم يكن بمقدورها ان تحول عينيها بعيدا، هذا الى انها لم تكن كاذبة ماهرة، فقالت:«كان كلاما فقط.»

واهتزت للرقة التي بدت في ابتسامته، ولكنه لم يقل شيئا، وإنما عاد يتابع السير.

لم تعد تحتمل الصمت، فسألته:«هل انت في إجازة؟»

«نعم، لمدة ثلاثة ايام.» وانتظرت ان ينطق بالمزيد، ولكن بما أنه لم يفعل عادت تقول:«هل انت تعمل في المستشفى في لندن؟»

«كلا، انني اعمل حالياً في غرونينجن. وأنا اتوقع ان احضر الى هنا في ظرف اسبوعين. كيف تستمتعين بعملك بعد ان استقريت الآن؟»

لم يكن يريد الحديث عن نفسه. فقالت:«انني راضية تماما به.» ثم صمتت مرة اخرى وعند الوصول الى المنزل، ترجل من السيارة، وفتح لها الباب وتبعها الى الباب المفتوح حيث كانت والدتها تنتظر. وبعد ان عانقت

www.rewity.com RAYAHEEN www.alkottob.com

الوالدة ابنتها، قالت:«هل ستبقى للغداء، يا إيديريك؟ تفضل بالدخول. يا له من يوم جميل، وما اروع هذا الصيف الذي يمر بنا. ان والدك في مكتبه يا اوجيني. هل لك ان تخبريه بأن الغداء جاهز؟»

قادت الطبيب ريجنما الى غرفة الجلوس، ثم ابتسمت له فجأة، قائلة:«هل سار كل شيء وفقا لخطة مرسومة؟»

«نعم، تماما كما كنت اتمنى، يا سيدة سبنسر. هل تمانعين إذا انا غادرت بعد الغداء؟»

امعنت النظر في وجهه الهادىء:«ولكن هل ستعود؟»

«نعم. هل تدعينني الى طعام الافطار؟»

«بكل سرور، يا ايديريك.» واستدارت حين دخلت اوجيني الغرفة. فقالت بمرح:«كنت احدث الطبيب ريجنما تير ساليس عن منظر غروب الشمس الرائع الذي نراه من هنا.»

غادرهم بعد الغداء وحياها تحية عادية وهو يصعد الى سيارته. اخذت اوجيني تنظر إليه مبتعداً وهي تغالب دموعها، متلهفة الى الركض خلفه متوسلة إليه للبقاء.

لم يكونوا يطيلون السهر في المنزل. وكان بإمكانها ان تذهب للفراش مبكرة، مما كان يسمح لها بالإستلقاء مستيقظة لكي تأخذ في إراحة نفسها بالبكاء. ونامت حتى الفجر لتستيقظ لكي متورمة الاجفان. لا شك في ان نزهة سريعة ستعدل من منظرها. وارتدت اول ثوب وقع في يدها، وكان ثوبا قطنيا احالت لونه السنوات. وحذاء قديما. نزلت السلم بهدوء وهي تنظر بشوق الى فنجان شاي، إنها ستشربه حين عودتها، وكان الوقت ما يزال السادسة والنصف... ثم خرجت من الباب الخلفي.

كان الطبيب ريجنما تير ساليس جالساً على دلو مقلوب، فنهض لدى رؤيتها يحييها بوجه مشرق، ثم اضاف بنفس الإشراقة:«هل كنت تبكين؟»

كان في سؤاله هذا، وهي الشاعرة بالنكد والتبرم لقضائها ليلة سيئة من ناحية، ومن ناحية اخرى لمنظرها الذي كانت تعلم انه لا يظهرها جميلة، كان في هذا القشة التي قمت ظهر البعير، كما يقال، فصرخت فيه:«آه، اذهب. ابتعد عني.» واستدارت لتعود ركضا الى المنزل لولا ان الكلب تايغر الذي كان متكئا عليها منتظرا الذهاب معها للنزهة، رفض ان يتحرك.

وبعد دقيقة، عادت فسألته:«ألم تذهب الى فراشك؟»

كان هذا سؤالا سخيفا، انما كان يبدو وكأنه رقد الليل بطوله وهو يقف امام منزلها.

ولكنه ابتسم فقط وقال لها:«اتأتين معي؟» وسار بها خارج بوابة الحديقة الى الارض السبخة خلفها، «طالما حلمت في ان اكون هنا معك في هدوء الصباح الباكر، يا حبيبتي. في البداية، كان هذا حلما فقط، ولكن من الممكن ان تتحقق الاحلام، أليس كذلك؟ رغم انها احيانا، بحاجة الى معونة قليلة.»

كانا يسيران في ممر ضيق بين الحشائش المشذبة الكثيفة، كما كانت الشمس الآن دافئة مشرقة، ووقف الطبيب ريجنما تير ساليس يديرها نحوه.

قال:«منذ رأيتك لأول مرة في دارتمور، لم استطع نسيانك. لقد بقيت في أفكاري منذ ذلك الحين. انني احبك، يا غاليتي. انني اريدك زوجة لي، زوجة احبها وأرعاها الى آخر لحظة في حياتي.»

www.alkottob.com

ابتسمت له، وقالت:«انني احب ان اكون موضع رعاية، كما انني احب كثيراً ان اكون زوجة لك، يا ايديريك. لقد احببتك طوال الوقت الذي عرفتك فيه. انني...»

قاطعها قائلا:«لا داعي للكلام. فقط اجيبي، هل انت موافقة علىٰ الزواج مني؟»

نظرت إليه وقالت:«اجل يا حبيبي. سأكون زوجتك وسأنجب لك الكثير من الاطفال.»

تـــمت

www.rewity.com
^RAYAHEEN^
www.alkottob.com